# الأحوال والمقامات عند الإمام ابن جزي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل عرض وتحليل

إعداد
دكتور
راضي محمود التابعي
مدرس العقيدة والفلسفة
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة

## ملخص البحث

الناظر في بعض كتب التفسير يجد بعض أصحابها قد تعرضو لقضايا صوفيه ومن أبرزها الحديث عن المقامات والأحوال والتى تحتل مكانه هائلة فى كتب التصوف فجأت هذه الدراسه إبرازاً لأرائهم وجهودهم فيما ذكروه من الدراسات الصوفيه مما يثبت مدى العلاقه بين علمى التفسير والتصوف ومدى إتفاقهم على سلوك التصوف الصحيح المدعوم من الكتاب والسنه مما يثرى مجال العقيده ويخرج لنا الجديد من أعلام خدمو العلوم الاسلامية فى شتى كتبهم .

وتتكون هذه الدراسة من مقدمة وثلاثه مباحث

أما المقدمة : فقد ذكرت فيها أسباب إختيار الموضوع والمنهج الذى قام علية البحث والدراسات السابقة .

أما عن المبحث الأول :. فيتكون من التعريف بالإمام بن جزي. ثانياً العصر الذى نشأ فية الإمام .

أما عن المبحث الثانى :. فقد تناولت فية حديث بن جزي عن المقامات .

ثم عن المبحث الثالث :. فقد تحدثت فية عن الأحوال

واخيراً أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات .

منهج العرض والتحليل و الاستقراء ولا يمنع ذلك من النقد فى بعض الأحيان.

أهم النتائج والتوصيات :

- تناول الامام بن جزي مسائل التصوف بإسلوب سهل بعيداً عن الغموض والتعقيد فهو في متناول الجميع.

- نيل التصوف قدراً لا بأس به في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل .

- العمدة لدي أئمة السلف وأهل الظاهر في التصوف هو المقامات والأحوال وهو الذي ركز عليه بن جزي.

- مدي الصلة الوثيقة بين علمي التفسير والتصوف.

- وجدنا أن التصوف الإسلامى المعتدل لايتعارض مع المنهج السلفى فكثير من أئمة السلف كانوا صوفية أو كتبوا فى التصوف ، أما وجه الإعتراض فهو مع أدعياء التصوف أو المنتسبين إليه أو أدعياء السلفية.

- أوصي بدراسة كتب التفاسير وتوجهات أصحابها لإخراج مايخدم مجال العقيدة والتصوف ومدي جهودهم في الرد علي الفرق الزائغه.

الكلمات المفتاحية: التصوف ،المقامات ،الأحوال ، االتسهيل لعلوم التنزيل

***

**The denominators and conditions of Imam Ibn Jazi in the book of (facilitation of download science (presentation and analysis**

**Mahmoud al-Tabei satisfied the infection**

Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic and Arab .Studies, Al-Azhar University in Damietta

**E-mail: radyeltabey@gmail.com**

**Abstract**

The principal in some of the books of interpretation finds some of its owners have been subjected to Sufi issues, most notably the talk about the denominators and conditions, which occupy a huge place in the books of Sufism, so this study came to highlight their opinions and efforts in what they mentioned from Sufi studies, which proves the extent of the relationship between the scholars of interpretation and sufism and the extent of their agreement on the behavior of correct sufism supported by the Book and Sunnis, which enriches the field of belief and brings us the new flags of the servants of Islamic sciences in various books.

This study consists of an introduction and three investigations

As for the introduction: it mentioned the reasons for choosing the topic and the approach on which the research and previous studies were based.

As for the first topic: It consists of introducing Imam Ibn Jazi. Secondly, the era in which the imam grew up.

As for the second topic: I addressed Ben Jazi's talk about maqams.

Then about the third topic: I talked about the situation.

Finally, the most important sources and references, and the index of topics.

The method of presentation, analysis and extrapolation does not prevent criticism at times.

The most important findings and recommendations:

- Imam Ben Jazi addressed the issues of sufism in an easy way away from ambiguity and complexity, which is accessible to all.
- Sufism has a good deal in the book of facilitation of download science.
- The mayor has the imams of the Ancestors and the people of Al-Zahir in Sufism, who are the denominators and conditions, and he is the one on whom Ibn Jazi focused.

The extent of the close link between the sciences of interpretation and sufism.

- We found that moderate Islamic sufism does not contradict the Salafi approach, as many of the Imams of the Salafis were Sufism or wrote in Sufism, but the face of objection is with the sufism or its affiliates or salafist pretenders.
- I recommend studying the books of interpretations and the directions of their owners to take out what serves the field of faith and sufism and the extent of their efforts in responding to the differences that are missing.

**Keywords**: Mysticism, Denominators, Conditions, Facilitation of Download Science

## المقدمة

الحمد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبي الأمي الكريم ، وعلى آلة وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

**وبعد؛**

فقد حاول بعض المنتمين إلى الفكر الاسلامي قطع الصلة بين المسلميبه،ين تراثهم الديني الأخلاقي النابع من الكتاب والسنة .

و لا شك أنه تقطيع لأواصر الصلة بين حقيقة الدين وبين المتدينين به ، كما أنه أيضا مخالف للمنهج العلمي الصحيح ، فالعلوم لا تنفصل عن بدايتها ولا تتنكر للعلماء السابقين .

فأهل السنة والجماعة أصبحوا في نظر طائفة أهل بدعة.

كما أن الجدل الذي عرفته الساحة الفكرية منذ أوائل القرن الماضي حول مشروعية التجربة الصوفية ، إنما كان جدلاً يعكس في الواقع تلك القطيعة التي لم تفصل بين المفكر المسلم الحديث وبين تراثه الصوفي فحسب ، بل إنها قطيعة فصلت في نفس الوقت بين المفكر المسلم وبين تراثه الأخلاقي الإسلامي بوجه عام ، فبقدر ما انحطت النسبة الصوفية انحطت النسبة الأخلاقية.

لذا جاءت محاولتنا في الرجوع لهذا التراث الصوفي لنفي تحريف القالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ومحاولة عرض هذا التراث على نصوص الكتاب والسنة للرجوع به إلى عصره الأول عصر السلف الصالح ، وهو ما نادى به كبار الصوفية أنفسهم حتى قال أحدهم:

فنجاة النفس في الشرع فلاتك إنسانا رأي ثم حرم

واعتصم بالشرع في الكشف فقد فاز بالخير عبيد قد عصم

كـــل علـــم يـــشهد الـــشرع لـــه هـــو علـــم فيـــه فلتعتـــصم[1]

هذا والرجوع بالتجربة الصوفية إلى ذلك العصر نجد أنه تمثل في كثير من أعلام أهل التصوف فيما يعرف بالتصوف السني حيث قيض اللَّه عز وجل نفراً من أهل الحق، جمعوا بين الفقه في الدين، ورسوخ قدم في فهم التصوف. ومن هؤلاء العلم العلامة البحر الفهامة أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللَّه، ابن جُزَيّ الكلبي الغرناطي ( المتوفى : ٧٤١هـ ) .

ولقد حظي تفسيره ( التسهيل لعلوم التنزيل ) بشهرة واسعة بين العلماء وطلاب العلم نظراً لقيمة مؤلفه وأهميته من ناحية، ولأنه من ناحية أخرى أودع فيه من آراء السلف رواية ودراية، وضمنه من أقوال الخلف بكل دقة ورعاية. ولا غرو في ذلك فإن مؤلفه قد جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علامة في الفروع والأصول، بصيراً بالقرآن وقراءاته، عارفاً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين من بعده، مطلعاً على تراث المفسرين الذين سبقوه، عالما باختلاف المذاهب، مطلعا على الملل والنحل، بارعا في قوة التحرير وغزارة الإملاء وجزالة التعبير ، بالإضافة إلي ما تناوله في تفسيره من المسائل المتعلقة بالتصوف.

يقول ابن جُزي " وأما التصوّف فله تعلق بالقرآن. لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية و رياضة النفوس. وتنوير القلوب. وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة. واجتناب الأخلاق الذميمة. وقد تكلمت المتصوّفة في تفسير القرآن. فمنهم من أحسن وأجاد. ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني. ووقف على حقيقة المراد. ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية.

وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق» وقال بعض العلماء: بل هي البواطل. وإذا انصفنا قلنا: فيه حقائق وبواطل. وقد ذكرنا

(١) تعليقات د/ أبو العلا عفيفي. علي كتاب فصوص الحكم، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ، ص٥، ٦ (د، ط).

هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية. دون ما يعترض أو يقدح فيه".[١]

أسباب الموضوع:

- إبراز جهود الإمام ابن جزي في التصوف.

- إمكانية تقديم التصوف الإسلامي للمسلمين المعاصرين أفضل السبل لتحقيق النهضة الروحية المطلوبة، علي اعتبار أن التصوف الإسلامي ينطلق من الكتاب والسنة.

- محاولة سد الفجوة أو القطيعة الثقافية بين المسلم الحاضر وتراثه الصوفي.

- بيان مدى الاتصال بين علمي التفسير والتصوف باعتباره احد العلوم التي تناولها كتاب التسهيل لعلوم التنزيل.

*الدراسات السابقة:

- لم أجد من كتب في التصوف عند ابن جُزي بالرغم من كثرة الرسائل التي كتبت عنه في العقيدة والفقه والتفسير وترجيحاته وأذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر:

١ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ « دراسة نحوية » رسالة دكتوراه للباحث/ طاهر عبد الحي محمد - جامعة القاهرة – كلية دار العلوم.

٢ - الدرس اللغوي في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ، رسالة دكتوراه للباحثة/ فاتن عبد اللَّه إبراهيم أحمد - جامعة الإسكندرية – كلية الآداب.

٣ - منهج ابن جُزَيّ الفقهي رسالة دكتوراه للباحث/ حيدر مختار محمود - جامعة جنوب الوادي - كلية الآداب

٤ – التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للباحث/ إسماعيل فهمي عبد اللَّه - جامعة أسيوط - كلية الآداب.

٥ -ترجيحات ابن جزي الكلبي في تفسيره عرضاً ومناقشةً من أول سورة آل عمران

(١) التسهيل لابن جُزي ج ١ ص ١٣ وما بعدها، المحقق: الدكتور عبد اللَّه الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ

وحتى نهاية سورة المائدة رسالة دكتوراه للباحث/ اليحيى عبد العزيز بن ابراهيم- جامعة ام القرى-كلية الدعوة وأصول الدين

٦- ترجيحات ابن جزي الكلبي في تفسيره من خلال كتابة التسهيل لعلوم التنزيل عرضاً ومناقشةً من أول سورة الأنعام الى آخر سورة يوسف رسالة دكتوراه للباحث/ ابراهيم بن محمد بن عبد الخالق الغامدي -جامعة أم القري – كلية الدعوة وأصول الدين

منهجي في البحث:

– قمت بجمع النصوص التي تناولت الأحوال والمقامات في تفسير ابن جزي، متناولاً إياها بمنهج العرض والنقد التحليل معقباً و معلقاً عليها .

– تخريج الآيات القرآنية ذاكراً اسم السورة، ورقم الآية في الهامش لا في صلب الرسالة.

– تخريج الأحاديث النبوية المذكورة معتمداً على الصحيحين مكتفياً بهما إن كان الحديث موجوداً فيهما، وإلا عدت إلى كتب السنة الأخرى مكتفياً بمصدرين منهما، حاكماً على الحديث.

– الاعتماد على المصادر الأصلية فيما أمكنني الاطلاع عليه، بالإضافة إلى المراجع الفرعية الحديثة.

– توثيق النصوص الموجودة في البحث ، فإذا كان النص مذكوراً بعينه، وضعته بين قوسين أو مزدوجين " "، ثم أذكر اسم المصدر، ومؤلفه، ودار النشر وتاريخ النشر إن وجد، وإلا وضعت د/ ت، وإن كان من النص كلام محذوف وضعت نقاط هكذا... علامة على المحذوف وإن كان النص مذكوراً بتصرف ذكرت ما سبق مسبوقاً بكلمة يُنظر، وإن كانت الفكرة هي المذكورة، ذكرت ما سبق مسبوقاً بكلمة يُراجع أو راجع.

خطة البحث :

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة و ثلاثة مباحث:

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث و خطته، ثم

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جزي.

المبحث الثاني: في الأحوال.

المبحث الثالث: في المقامات.

ثم الخاتمة و اشتملت على أهم النتائج والتوصيات

ثم المراجع.

# المبحث الأول

## التعريف بالإمام ابن جُزَيّ - رحمه اللَّه -

١ – التعريف بالإمام ابن جُزَيّ – رحمه اللَّه تعالى :

أولاً : اسمه ونسبه وكنيته :

أ – اسمه ونسبه :هو الإمام العالم، الحافظ الفقيه الجليل، المقرئ الخطيب، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللَّه بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيّ [١] ، الكلبي[٢] الغرناطي [٣] ،.....

(١) ابن جُزَيّ: بالتصغير (بضم الجيم وفتح الزاي بعدها ياء) هذه شهرته، هي اسم لأحد أجداده، والتسمية بجُزَيّ معروفة عند العرب، مثل جُزَيّ بن بكير العبسي تابعي يروى عن حذيفة. ينظر : المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم لأبي عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (١/ ١٥٣)، تحقيق : على محمد، ط : دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م، والقاموس المحيط لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ص١٢٧٠، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي، ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

(٢) الكلبى: نسبة إلى قبيلة كلب بن وبرة إحدى القبائل اليمانية، التي يرجع نسبها إلى حمير، ومن هذه القبيلة دحية الكلبي، وزيد بن حارثة وابنه أسامة (رضي اللَّه عنهم). ينظر: جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن ١٨، بن حزم الأندلسي، ص٤٥٥:٤٥٧، تحقيق : لجنة من العلماء، ط : دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م، والأنساب للسمعاني (١١/ ١٣٠)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ- ١٩٦٢ م، وينظر: مقدمة د/ محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لتقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جُزَيّ، ص٢٤، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.

وقال د/ محمد بن سيدي محمد مولاي « أما نسبه : فاتفق جميع المترجمين له أنه من أقحاح العرب حيث إنه كلبي نسبة إلي قبيلة بني كلب التي يرجع نسبها إلي حمير... ويظهر أن هذه الأسرة تنقلت بين عدة مدن أندلسية قبل استقرارها. ينظر: مقدمة تحقيق كتاب القوانين الفقهية ص ١٨، ومقدمة تحقيق كتاب التسهيل لعلوم التنزيل له أيضاً (١/ ٣٢)، ط : دار الضياء للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣ م.

(٣) الغرناطي: نسبة إلى غَرْنَاطَة: (بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة)، ومعنى غرناطة رمّانة بلسان عجم الأندلس، وهى مدينة تقع في الجنوب الشرقي من إسبانيا وفيها قصر وقلعة الحمراء، أنشأ المسلمون غرناطة عام ١٣٣هـ،٧٥٠م، وفي القرن الثالث عشر الميلادي كانت المدينة مركزاً حضارياً كبيراً ومعقلاً للتراث والثقافة الإسلامية. ينظر: معجم البلدان لشهاب الدين الحموي (٤/ ١٩٥)، ط: دار =

المالكي [١] ، الأندلسي [٢] [٣] .

ب - كنيتـه:

يكنى بأبي القاسم [٤] ، وهي كنية جده، وكنية الرسول ﷺ و يلحظ أنه جمع بين الاسم ( محمد ) والكنية ( أبو القاسم ).

---

= صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م، وينظر: الموسوعة العربية العالمية لمجموعة من العلماء والباحثين(١٧/ ٩٧)، ط: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، الطبعة الثانية الرياض – السعودية.

(١) المالكي: نسبة إلى المذهب المالكي، فالمعروف أن المذهب الفقهي السائد في المغرب والأندلس هو مذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وابن جُزَيّ استوعب الكثير من كتب الفقه المالكي على شيوخه فاستحق مرتبة الإفتاء فيه وقارب درجة الاجتهاد. ينظر: ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير للدكتور/ على محمد الزبيري (١/ ١٩٣، ١٩٤)، ط : دار القلم – دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

(٢) الاندلسي: نسبة الي الأندلس وهي جُزَيّرة كبيرة بالمغرب فيها عامر وغامر، وأهل الأندلس زهاد وعباد والغالب عليهم علم الحديث، وهي منطقة جبلية ذات هضاب في جنوب أسبانيا يمكن أن تنطق أيضا أندُلسيَا، وتعرف بمناخها الجميل، وبجمالها، وبشعبها، والأندلس إسبانيا لدى المسلمين تاريخياً. ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ)(١/ ٥٠٣)، بتصرف يسير ط: دار صادر، بيروت ؛ وينظر : الموسوعة العربية العالمية (٣/ ٢١٠).

(٣) ينظر : ترجمة الإمام ابن جُزَيّ في: الإحاطة في أخبار غرناطة، لمحمد بن عبد اللَّه بن سعيد السلماني، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (٣/ ٢٠)، تحقيق : محمد عبد اللَّه عنان، ط: مكتبة الخانكي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة له أيضاً ص٤٦، ٤٧، تحقيق: إحسان عباس، ط: دار الثقافة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٣ م، وغاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين ابن الجزري (٢/ ٧٥)، تحقيق: ج. برجستراسر، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦ م ؛ وطبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي (٢/ ٨٥)، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف ط : دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٤) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٠)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٥/ ٨٨) تحقيق : محمد عبد المعيد ضان، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الثانية (١٣٩٢ هـ- ١٩٧٢ م)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٥)، وابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير (١/ ١٤١).

ثانياً : مولـده :

ولد الإمام ابن جُزَيّ - رحمه اللَّه - في عام ثلاثة وتسعين وستمائة هجرية ، الموافق ١٢٩٤ م في مدينة غرناطة عاصمة الأندلس ، وقبلة علماء المغرب في ذلك العهد [١] .

ثالثاً : نشـأته :

كان الإمام ابن جُزَيّ - رحمه اللَّه - من بيت عريق في الأصالة والنبل والعلم والمجد، فنشأ - رحمه اللَّه - في بيئة علمية تحثه على طلب العلم ، وتعينه عليه ، فقد كان أبوه أَحْمد بن مُحَمَّد بن سعيد ابْن جُزَيّ الْكَلْبِيّ مَحْمُودًا وَله طلب وَسَمَاع [٢] .

فعن بيته يحدثنا صاحب تاريخ قضاة الأندلس عنه بقوله : « ذُو الْبَيْت الْأَصِيل ، وَالْمجد الرفيع الأثيل [٣] » [٤]

---

(١) ينظر : نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص ٣٩٩، إشراف وتقديم: عبدالحميد عبداللَّه الهرامة: منشورات، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة: الأولى (١٣٩٨ هـ- ١٩٨٩ م)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف (١/ ٣٠٦)، تحقيق : عبد المجيد خيالي، ط : دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م، والتاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتي سقوط غرناطة، للدكتور عبد الرحمن علي الحجي، ص ٥٤٦، ط : دار القلم – دمشق – بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ- ١٩٨١م).

(٢) هو : أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبد اللَّه بن يحيى بن عبد الرَّحْمَن بن يُوسُف بن سعيد ابن جُزَيّ الْكَلْبِيّ كَانَ من أهل الأَصَالَة والذكاء وَإِلَيه النّظر فِي أَمر الْغَنَائِم بِبَلَدِهِ وَكَانَ مَحْمُودًا وَله طلب وَسَمَاع وَمَات بعد السبعمائة، ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (١/ ٣٢٦).

(٣) الأَثيل : أي الأصيل، وقيل : الأثيل : الشرف المحكم. ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري اليمني (١/ ١٧٨)، تحقيق د : حسين بن عبد اللَّه العمري- مطهر بن علي الإرياني- د : يوسف محمد عبد اللَّه، ط : دار الفكر المعاصر- بيروت – لبنان، دار الفكر- دمشق – سورية، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص ٣٨، تحقيق: عبد الخالق ثروت ط : عالم الكتب– القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور : أحمد مختار عبد الحميد عمر (١/ ٦٣)، ط : عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.

(٤) تاريخ قال رجل:أندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) لأبي الحسن علي بن عبد اللَّه النباهي =

وفى نفح الطيب : « وبيت بني جُزَيّ بيت كبير ، مشهور بالمغرب والأندلس » [١]

وفى شجرة النور عند ترجمة أحمد بن جُزَيّ قيل : « من بيت علم وعدالة وفضل وجلالة » [٢] .

فكان لهذه البيئة العلمية الأصيلة أثر في عكوفه على طلب العلم منذ صباه .

رابعاً : مكانته العلمية وأخلاقه :

كان الإمام ابن جُزَيّ – رحمه اللَّه – ذا همة عالية في طلب العلم والاعتكاف عليه ، وتجلى هذا من خلال حفظه للقرآن الكريم في سن مبكرة ، وأخذه من كل فنون العلم .

فقد كان – رحمه اللَّه – متفرغاً للعلم والتعليم ، والتدريس والتصنيف كما قال عنه أحد تلاميذه : « وَفرغ للْعلم من جَمِيع أَعماله ، وتفيَّأ رياض دواوينه من عَن يَمِينه وشماله ، وَاقْتصر على طلب كَمَاله مَعَ وفور ضيَاعه [٣] ، ونمو مَاله ، فدوَّن الْكثير وصنف » [٤] .

فكان – رحمه اللَّه – نابغة زمانه في مختلف العلوم الإسلامية ، وعلى طريقة مُثلى

= المالقي الأندلسي ص ١٧٧، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط : دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين المقري التلمساني (٧/ ٢٨٢) تحقيق : إحسان عباس، ط : دار صادر – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.

(٢) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٣٣٢).

(٣) ضَيْعة الرجل : أي حِرفته وصناعته وكَسْبه. يُقَال : مَا ضيعتك ؟ أَي مَا حرفتك. وَإِذا انتشرت على الرجل أَسبَابه قيل: فَشَتْ ضَيْعته حَتَّى لا يدْرِي بأيّها يبْدَأ. وَمعنى قَوْله فَشَتْ أَي كثرت. ينظر: تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (٣/ ٤٦)، تحقيق : محمد عوض مرعب، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠١ م)، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده المرسي (٢/ ٢١٧)، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، ط : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م).

(٤) ينظر : ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدين ابن الخطيب (٢/ ٣٦٣)، تحقيق : محمد عبد اللَّه عنان، ط : مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الأولى (١٩٨٠ م)، وأوصاف الناس في التواريخ والصلات له أيضًا، ص٢٧، تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد كمال شبانة.

من العكوف على العلم ، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين ، مشاركاً في فنون من عربيةٍ ، وأصولٍ ، وقراءاتٍ ، وحديثٍ ، وأدبٍ ، حافظاً للتفسير ، فكان فقيهاً مالكياً محدثاً أُصولياَ مقرئاً متكلماً أديباً نحوياً لغوياً خطيباً مفوهاً ، مستوعباً للأقوال، جَمَّاعَةً للكتب، حسن المجلس ، ممتعَ المحاضرة، رضي الخلق ، محمود الخصال ، عذب الشمائل ، متواضعاً ، صحيحَ الباطن ، تولى الخطابة منذ حداثة سنه في الجامع الكبير بغرناطة ، فاتفق على فضله وجرى على سنن أصالته حيث أمتع القلوب بحسن أسلوبه، وملك الأفئدة بوعظه وإرشاده، وبراعة منطقه [1] .

وإضافة لعنايته بالعلوم الشرعية لا سيما علم التفسير منها ؛ فقد كان له اهتمامٌ بالأدب ، والإحاطة بلغة العرب، وإلمامه بالشعر، والاستشهاد به وخاصة في تفسيره ، مع رقة في الطبع واتساع الفكر مما كان أثره واضحاً في فهمه لكتاب اللَّه – عز وجل – ، ولعل اشتغاله بأنواع المعارف والفنون ، كان لأجل فهم القرآن الكريم ، لأنها أدوات ووسائل لابد منها لمن يريد أن يتصدى للتفسير خاصة ، والعلوم الشرعية عامة .

خامساً: على ذلك ما ذكره ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه التسهيل بقوله : « وإن اللَّه أنعم على بأن شغلني بخدمة القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه، وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علمه » [2] .

خامساً : عقيدته ومذهبه الفقهي :

أ : عقيدته :

لقد سار ابن جُزَيّ في الجملة على مذهب أهل السنة والجماعة في تقرير الأمور العقدية، والرد على من خالف عقيدة التوحيد من أهل الكتاب أو من الفرق المخالفة

(١) ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٠)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون (٢/ ٢٧٤)، تحقيق وتعليق : الدكتور محمد الأحمدي، ط : دار التراث للطبع والنشر – القاهرة، ونفح الطيب (٥/ ٥١٤).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ١٠، المحقق: الدكتور عبد اللَّه الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى- ١٤١٦ هـ.

كالمرجئة [١]، والخوارج [٢]، والمعتزلة [٣]، وأهل الكلام والفلسفة.

ويتضح ذلك عند عرضه لأقوال الفرق المخالفة والرد عليها بما يبطلها

وأما منهجه في الصفات فكان - رحمه اللَّه - على طريقة أهل الحديث وهم الذين يقولون بإثبات الصفة وتفويض الكيفية إلى اللَّه تعالى ومثلهم غلاة الحنابلة ومن تبعهم كابن تيمية وابن قيم الجوزية فهم يثبتون اللفظ ويفوضون الكيفية إلى اللَّه تعالى كمذهبهم في الصفات الخبرية كالاستواء في قوله تعالى:" **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ**

(١) الْمُرْجِئَةِ هي : إحدى الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وهي مشتقة من الإِرْجَاءِ وهو على معنيين: أحدهما: بمعنى التَّأْخِيرِ كما في قوله تعالى: قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ [الأعراف :١١١]، أي أمهله وأخره. والثاني: إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد. وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ معصية، كَمَا لا تَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ، والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة. ينظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٩)، تحقيق أ/ عبدالعزيز محمد الوكيل، ط : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع – القاهرة، سنة ١٣٨٧ هـ- ١٩٦٨ م.

(٢) الْخَوَارِجُ : وَهُمُ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب-رضى اللَّه عنه- وَفَارَقُوهُ بِسَبَبِ التَّحْكِيمِ، ثم إنهم تشعبوا الى سبع فرق وسائر فرقهم متفقون على أَن العَبْد يصير كَافِرًا بالذنب وهم يكفرون عُثْمَان وعليا وَطَلْحَة وَالزُّبَيْر وَعَائِشَة-رضى اللَّه عنهم- ويعظمون أَبَا بكر وَعمر رضى عنهما. ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين السفاريني الحنبلي (١/ ٨٦)، ط مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م. وينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) (١/ ٤٦) المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) المعتزلة : اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري إثر سؤال وجه له عن حكم مرتكب الكبيرة، فأجاب واصل بن عطاء بأنه في منزلة بين المنزلتين : لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب، فقال الحسن : اعتزل عنا واصل فسمي هو وأصحابه معتزلة . (ينظر : الملل والنحل)١/ الفقهية ص٥٠ وينظر: الفرق الإسلامية بين الاعتدال والانحراف للدكتور/ محمد أحمد العزيزي أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا، ص ٢٠٨ بتصرف، سنة النشر : ١٤٢٥ ه، ٢٠٠٤ م).

**اسْتَوَى**"[1] فالاستواء عندهم استواءً حقيقيا يفوضون كيفيته إلى اللَّه تعالى، وقس على ذلك اليد والوجه والعين والنزول والمجئ والساق[2]، وأحياناً كان يؤول بعض الصفات كمذهب أهل السنة من الأشاعرة.[3]

وبالجملة فإن الإمام ابن جُزَيّ رحمه اللَّه كان على طريقة أهل الحديث في تقرير العقائد ولم يخالفهم إلا في القليل النادر.

بَ : مذهبه الفقهي :

يعتبر ابن جُزَيّ من أعيان الفقه المالكي ومن مناظري هذا المذهب ومرجعاً من مراجعه، حيث اعتنى بتقرير مذهب الإمام مالك، والاستدلال له وبذكر الخلاف الموجود فيه.

فهو مالكي المذهب وقد ذكر ذلك كل من ترجم له ، وهو المذهب المنتشر في بلاد الأندلس آنذاك ، بل هو من المحققين فيه ، فتصانيفه تشهد لذلك ، وقد كتب كتاباً في تلخيص مذهب المالكية وهو: ( القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ) ، حيث إن مادته هي الفقه المقارن ، وهو كتاب مشهور عند علماء المالكية .

وقد قال رحمه اللَّه: « إِذا تكلمنا فِي مَسْأَلَة قيدنَا أولا بِمذهب مَالك ثمَّ نتبعه بِمذهب غَيره إِمَّا نصاً وَتَصْرِيحًا وَإِمَّا إِشَارَة وتلويحاً »[4] .

ومع ذلك فلم يكن الإمام ابن جُزَيّ متعصباً لمذهب الإمام مالك، فقد قال بعد ذكره المذاهب الفقهية والأئمة المجتهدين : « فإن كل واحد منهم مجتهد في دين اللَّه ، ومذاهبهم طرق موصلة إلي اللَّه »[5] .

(١) سورة طه: ٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية ج١ ص٢٦٤ نشر : دار الكنوز الأدبية- الرياض، ١٣٩١ تحقيق : محمد رشاد سالم.

(٣) راجع كتاب المواقف ج١ ص٤٦٠

(٤) ينظر: مقدمة القوانين الفقهية ص٥٠.

(٥) ينظر: مقدمة القوانين الفقهية ص ٥٢.

سادساً : شيوخه وتلاميذه:

١ – شيوخه :

تلقى الأستاذ العلامة ابن جُزَيّ مختلف العلوم الشرعية، والأدبية عن مجموعة من العلماء الأجلاء ، حتى أصبح عالماً ، مقرئاً ، شاعراً أديباً ، أصولياً، فقيهاً ، مؤلفاً ، مشهوداً له بالعلم والعمل ، ولعله أخذ عن والده الإمام أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبد اللَّه ابن جُزَيّ الْكَلْبِيّ ، وذلك أن لوالده طلباً وسماعاً ، وأخذ عن مجموعة كبيرة من العلماء غيره سنكتفي بإطلالة سريعة على بعض شيوخه ونذكر منهم :

١ – أبا المجد يوسف بن الأحوص [(١)] .

٢ – أبا جعفر بن الزبير [(٢)] .

٣ – أبا عبد اللَّه بن بُرْطالا [(٣)] .

٤ – أبا عبد اللَّه بن الكَمَّاد [(٤)] .

وشيوخه غير هؤلاء كثيرون .

(١) هو: يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد ابن أبي الأحوص القرشي الفهري، يكنى أبا المجد، ويعرف بابن الوسبعمائة.من أهل العلم والعدالة والنزاهة. قرأ على والده وروى عنه، واستدعى له بالإجازة من أعلام زمانه، ومات في اليوم التاسع عشر من شهر رجب عام خمسة وسبعمائة. ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/ ٣٧٦).

(٢) هو: أَحْمد بن إِبْرَاهِيم بن الزبير بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن عَاصِم بن مُسلم، الْعَلامَة أَبُو جَعْفَر الأندلسي الْحَافِظ النَّحْوِيّ، ولد سنة ٦٢٧ هـ، كان خاتمة المحدّثين، وصدور العلماء والمقرئين، وَتُوفِّي بغرناطة فِي عَام ٧٠٨هـ. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (١/ ١٨٨ : ١٩٢)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد اللَّه الشوكاني (١/ ٣٤،٣٣)، ط : دار المعرفة – بيروت.

(٣) هو: أبو عبد اللَّه محمد بن علي بن أحمد بن علي بن بُرْطال (ت : ٧٠٩ هـ) شيخ القضاة وبقيّة المحدثين، كان والد أبي جعفر بن بُرْطال (توفي: ٧٥٠ هـ)، أحد قضاة غرناطة وإمام مسجدها الأعظم. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (١/ ١٧٢).

ينظر:هو: مُحَمَّد بن أَحْمد بن دَأود بن مُوسَى بن مَالك اللَّخْمِيّ المكني أَبُو عبد اللَّه ابن الْكَمَاد، كان مشاركا فِي فنون من الْعَرَبيَّة وَالْفِقْه وَألف الْمقنع فِي القراءات توفى سنة ٧١٢هـ. ينظر :غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٥٨)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ٤٤).

٢ – تلاميذه :

لقد كانت جلالة المكانة العلمية لابن جُزَيّ وغزارة علمه سببا في اتساع عدد تلاميذه حيث تخرج من تحت يديه الكثير من العلماء الأجلاء ، الذين استفادوا من علمه الغزير، وأصبح منهم القضاة والوزراء والكتاب والدعاة والمجاهدون، ومن هؤلاء التلاميذ أبنائه الثلاثة ( القاضي أحمد بن محمد بن جُزَيّ يُكنّى أبا بكر ، والكاتب محمد بن محمد بن جُزَيّ يُكنّى أبا عبد اللَّه ، والقاضي عبد اللَّه بن محمد بن جُزَيّ يُكنّى أبا محمد )

قال عنهم لسان الدين ابن الخطيب [١] : « وعقبه ظاهر بين القضاء والكتابة » [٢]

وقال أيضاً : « وترك خلفا نجيبا ، فكان في سعادة المحيا والممات عجبا عجيبا » [٣] .

أما تلاميذه من غير أبنائه فقد أخذ عنه خلق كثير ، صاروا فيما بعد من أعلام غرناطة وفقهائها نذكر منهم :

١ – أبا محمد الحضرمي [٤] .

(١) هو: مُحَمَّد بن عبد اللَّه بن سعيد بن عبد اللَّه بن سعيد بن عَليّ بن أَحْمد السَّلمَانِي قرطبي الأَصْل، يكنى أَبَا عبد اللَّه، ويلقب لِسَان الدّين، ولد فِي الخَامِس والعشرين من رَجَب سنة ٧١٣هـ بلوشة وَكَانَ سلفه قَدِيما يعْرفُونَ ببني وَزِير ثمَّ صَارُوا يعْرفُونَ ببني الْخَطِيب نِسْبَة إِلَى سعيد جده الأَعْلَى وَكَانَ قد ولي الخطابة بهَا ومات سنة سِتّ وَسبعين وَسَبْعمائة. ينظر: مقدمة كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة (١/ ١٧ : ٧١)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ٢١٣)

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٣).

(٣) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ص٤٧.

(٤) الحضرمي : هو عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن عم.بن محمد بن عبد اللَّه بن محمد الحضرمي، يكنى أبا محمد، شيخنا الرئيس، صاحب القلم الأعلى بالمغرب، كان كثير الاجتهاد والملازمة، والتفنّن والمطالعة، مقصور الأوقات على الإفادة والاستفادة، له فهرسة لمشايخه الذين بلغوا ألف شيخ، ولد ببلدة سبتة في عام ٦٧٦ هـ، وتوفى عام ٧٤٩ هـ. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/ ١١)، والأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) (٤/ ١٦٩).الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار/ مايو ٢٠٠٢ م.

٢ – أبا القاسم بن الخشاب [١] .

٣ – ذا الوزارتين لسان الدين بن الخطيب .

وتلاميذ الإمام ابن جُزَيّ غير هؤلاء كثيرون.

سابعاً: مؤلفاته:

لقد ورّث الإمام ابن جُزَيّ – رحمه اللَّه – علماً ينتفع به من خلال تدريسه وتصنيفه ، فقد كان عاكفاً على العلم مفرغاً نفسه له، حيث اشتغل بالنظر والتقييد والتدوين طيلة عمره، فكان نتاج ذلك مؤلفات كثيرة، لم تحظ بالاهتمام والتحقيق العلمي ، ومن تلك المؤلفات :

في التفسير وعلوم القرآن :

١ – التسهيل لعلوم التنزيل ( تفسير ) مطبوع .

٢ – المختصر البارع في قراءة نافع ( قراءات ) مخطوط، وتوجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم (٣٨٤) [٢] .

٣ – أصول القراء الستة غير نافع ( قراءات ) [٣]، ( مفقود )

وفى الحديث النبوي الشريف:

٤ – وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم [٤]، ( مفقود ) .

(١) ابن الخشاب : هو محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن محمد بن علي، أبو القاسم الأنصاري الأندلسي، يعرف بابن الخشاب شيخ غرناطة والمصدر بجامعها في زمنه، ولد بعد العشرين وسبعمائة، وتوفى٧٧٤هـ. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٥٧، ٢٥٨)، والأعلام (٧/ ٤٠).

(٢) ينظر : مقدممطبوع، حمد المختار ابن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لتقريب الوصول الى علم الأصول، ص ٤٥، والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مخطوطات القراءات، برقم (٢٠)، ص ١٨٢، ط : المجامع التعاونية، عمان – الأردن، الطبعة الثانية.

(٣) ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٢)، والديباج المذهب (٢/ ٢٧٥).

(٤) ينظر : أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لإسماعيل أبي الوليد، المعروف بابن الأحمر (المتوفى: ٨٠٧هـ) ص ١٦٦ المحقق: الدكتور محمد رضوان الداية الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٣٩٦ هـ- ١٩٧٦ م،، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٦).

٥ - الأنوار السنية فِي الألفاظِ السُّنِّيَّة ( مطبوع ).

وفى الفقه وأصوله :

٦ - الدعوات والأذكار المخرَّجة من صحيح الأخبار [١]، ( مفقود ) .

٧ - القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية ( فقه مقارن )، ( مطبوع ) طبع عدة مرات [٢] .

٩ – الصلاة : وهو كتاب في الفقه والترغيب [٣]، ( مفقود ) .

وفي العقائد :

١٠ – النور المبين في قواعد عقائد الدين [٤]، ( مطبوع ) .

١١ – الضروري من علم الدين [٥] ،( مفقود ) .

وفي علم النحو :

١٢ – الفوائد العامة في لحن العامة [٦]، ( مفقود ) .

وفي علم التاريخ والتراجم :

١٣ – فهرسة ابن جُزَيّ اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب [٧] (مفقود).

---

(١) أشار إليه ابن جُزَيّ في كتابه القوانين الفقهية، ص٦٢٥، وينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٢)، والديباج المذهب (٢/ ٢٧٥).

(٢) ينظر : أعلام المغرب والأندلس ص١٦٦، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٦).

(٣) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة عند ترجمته لعبد اللَّه بن جُزَيّ (٣/ ٣٩٣٩).

(٤) هذا الكتاب مطبوع، تحقيق : نزار حمّادي، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ- ٢٠١٤ م. ينظر : مؤلفات ابن جُزَيّ في الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٢٢)، والديباج المذهب لابن فرحون (٢/ ٢٧٥).

(٥) قال الزبيري : ذكره محمد بن علي القيسي المنتوري وهو يتحدث عن ابن جُزَيّ في خطبة كتابه (منهاج العلماء الأحبار شرح أحاديث كتاب الأنوار) ينظر : ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير، (١/ ٢١٩).

(٦) ينظر : أعلام المغرب والأندلس ص١٦٦، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٦).

(٧) ينظر : أعلام المغرب والأندلس ص١٦٦، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٦)، ونفح الطيب (٥/ ٥١٥)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٣٠٦).

ثامناً : وفاته وثناء العلماء عليه :

أولاً : وفاته :

بعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والتعليم والتوجيه والتأليف والجهاد في سبيل اللَّه، ختم اللَّه له بإحدى الحسنيين التي طالما تمناها وطلبها من اللَّه – عز وجل – ، وأخذ بأسبابها ، ألا وهي الشهادة في سبيل اللَّه .

ففي ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة (٧٤١) في موقعة طريف [١] ، فُقِدَ وهو يُحرّض المؤمنين ويُشحذ هممهم، وقد حقق اللَّه له أُمنيته وهي الشهادة في سبيل اللَّه.

ومن شعره في هذا الموضوع : قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر ابن ذي الوزارتين تلميذ ابن جُزَيّ: أنشدني يوم الوقيعة من آخر شعره قوله :

قصدي المؤمل في جهري وأسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري

شهادة في سبيل اللَّه خالصة تمحو ذنوبي وتنجيني من النار

إن المعاصي رجس لا يطهرها إلا الصوارمُ من أيمان كُفَّار

ثم قال : أرجو أن يعطيني اللَّه ما سألته في هذه الأبيات ، قال الوزير: فقلت له : وجعلت للكفار يميناً فلو كان غير هذا اللفظ موضعه، فقال لي : والحطمة في الناس من

(١) موقعة طريف : هي المعركة العظيمة التي دارت بين الجيوش الإسلامية بقيادة السلطان المغربي أبي الحسن عليّ بن عثمان المريني والسلطان الغرناطي أبي الحجاج يوسف (الأول) من جهة ، والجيوش النصرانية الإسبانية بقيادة ملك قشتالة ألفونس الحادي عشر من جهة أخرى ، وكانت هزيمة مزلزلة ، خسر المسلمون هذه المعركة، بعدما أبلوا بلاءً حسناً، وبعد حصار دام أربعة أشهر، وارتكب القشتاليون المناكر في المعسكر الإسلامي وغنموا ما فيه، سنة٧٤١هـ- ١٣٤٠م. ينظر: تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ص١٩٦٤، تحقيق: أبي صهيب الكرمي، ط : دار الأفكار الدولية – عمان – الأردن، الرياض – السعودية، ونفح الطيب (٥/ ١٤، ١٥)، والتاريخ الأندلسي د/ عبدالرحمن علي الحجي، ص ٥٤٣، ٥٤٤.

أيدي الكفار ، قال فكان آخر عهدي به ، رحمه اللَّه [1] .

ثانياً : ثناء العلماء عليه :

قد أثنى كثير من العلماء على ابن جُزَيّ – رحمه اللَّه – فأقرَّ كل من ترجم له بالإمامة والحفظ ، ومعرفة الحديث ، والتفسير ، والفقه ، وغيرها من العلوم .

قال فيه الحضرمي : « كان رجلاً ذا مروءة كاملة ، حافظاً متقناً ، ذا أخلاق فاضلة، وديانة وعفة، وطهارة، وشهرته ديناً وعلماً أغنت عن التعريف به، له جملة تآليف في غير فنٍ وبرنامج لا بأس به » ، وقال فيه أيضاً : « شيخنا الفقيه الجليل الأستاذ المقرئ الخطيب العالم المتفنن الحسيب الماجد المثيل الصدر المعظم الفاضل الشهيد بموقعة طريف » [2] .

وقال لسان الدين بن الخطيب فِي وصف أبي الْقَاسِم بن جُزَيّ : « مُجْتَهد عاكف ، وَروض فنون جاده من الْعلم كل واكف ، أَقَامَ رسم مجده ، وَرفع عمد بَيته فِي قبَّة الْعلم ونجده فَأَصْبح صدر بَلَده » [3] .

وقال ابن مخلوف [4] – رحمه اللَّه تعالى – : « من ذوي الأصالة والوجاهة والنباهة ، والعدالة ، الإمام ، الحافظ ، العمدة ، المتفنن » [5] .

وفي فهرس الفهارس : « هو الإمام العالم الحافظ المدرس الشهير خطيب الجامع الأعظم بغرناطة » [6] .

---

(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص ٣٩٩.

(٢) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص٣٩٨، ٣٩٩.

(٣) ريحانة الكتاب ونج).المنتاب (٢/ ٣٦٣)، وأوصاف الناس في التواريخ والصلات، ص٢٧.

(٤) ابن مخلوف: هو محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالِم مخلوف: عالم بتراجم المالكية، من المفتين. مولده ووفاته في المنستير (بتونس) تعلم بجامع الزيتونة، ودرّس فيه ثم بالمنستير. وولي الإفتاء بقابس (سنة ١٣١٣) فالقضاء بالمنستير (١٣١٩) فوظيفة (باش = مفتي) فيها، أي المفتي الأكبر (سنة ١٣٥٥) إلى أن توفي عام ١٣٦٠، اشتهر بكتابه (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية). ينظر: الأعلام (٧/ ٨٢).

(٥) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٣٠٦).

(٦) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد عَبْد الحَيّ الكتاني =

## المبحث الثاني: الأحوال

تعريف الحال: الحال في اللغة: فهو من الفعل حال الذي يعني انتقل، ومر وزال. قال تعالي ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾[١] وعند الصوفية: معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب ، مثل طرب أو حزن أو بسط أو قبض ، أو شوق أو انزعاج أو هيبة[٢].

وقيل إن الحال تدوم، وقيل إنها عرضة للزوال، والصواب أن الحال قابلة للزوال، قبل زوالها تسمى حالاً، وعندما تزول تسمى وارداً، والوارد هو كل ما يرد على القلب من المعاني الغريبة ، من غير تعمد.

فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتى من الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود[٣].

وعلى ذلك فالمقام ثابت ومستقر بخلاف الحال فإنه متغير ومتحول وزائل ، وقد يتصف المريد به في وقت دون آخر فإذا تكرر حدوثه للمريد فقد يستقر ويصبح مقاماً.

ومن أمثلة الحال : المحبة والشوق والأنس والقبض والبسط والبقاء والفناء والمكاشفة والمشاهدة والغيبة والحضور.

ومن تلك الأحوال التي تناولها ابن جزي

١- "المحبة" ويستدلون عليها بقوله تعالى: "يحبهم ويحبونه"[٤]، وقوله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما،

---

= (المتوفى: ١٣٨٢هـ) (١/ ٣٠٦). المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت ص. ب: ١١٣/ ٥٧٨٧ الطبعة: ٢، ١٩٨٢.

(١) [الاسراء: ٧٧]

(٢) التعريفات : للجرجاني، ج١ ص١١٠ دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

(٣) الرسالة القشيرية، ح١٦، ٥٩ و ينظر مفهوم التصوف و أنواعه في الميزان الشرعي ص٣٥ وما بعدها د. محمود يوسف الشوبكي.

(٤) المائدة: ٥٤.

وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار"[1]، كما يروون عن أبي الدرداء قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و سلم كان من دعاء داود يقول اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد " [2]. فكأن الرسول ﷺ طلب خالص الحب – الذي هو أحد الأحوال عندهم – لأنه هبة لا كسب.

ويعرف الشبلي المحبة بقوله: "أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب ويقول الجنيد: أن يكون السالك باللَّه وللَّه ومع اللَّه"[3].

أما ابن تيمية فيقول فيها: من عبد اللَّه بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد اللَّه بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد[4].

والحب هو أصل كل الأحوال وموجبها عند الصوفية ومنزلته في الأحوال بمنزلة التوبة في المقامات، فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من الزهد والرضا والتوكل، وكذلك من صحت محبته تحقق بسائر الأحوال. قال الروزباري[5]:

(١) متفق عليه البخاري ح١٦، ومسلم ١٧٤.

(٢) سنن الترمذي ح ٣٤٩٠.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ١٣، ١٧ ط. دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٣ م.
هذا ويقال أن أول نظرية ظهرت في الحب الإلهي في مدرسة البصرة وكان ظهورها عند جماعة لقبوا الزهاد، وهو اسم أطلقه عليهم أبو داود السجستاني المتوفي ٢٧٥هـ، انظر الفتاوى ١٠/ ٨١، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تحقيق : أنور الباز- عامر الجزار ، الناشر : دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

(٤) الفتاوى، ١٠/ ٨١.

(٥) أبو علي أحمد بن محمد بن القاسم بن شهريار بن مهرذاذار بن فرغد بن كسرى من أهل بغداد سكن مصر وصار شيخها ومات بها ٣٣٢هـ، صحب الجنيد والنوري ومن في طبقتهم راجع طبقات الشافعية الكبرى المؤلف : الإمام العلامة/ تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي
تحقيق : د. محمود محمد الطناحي- د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر-هجر للطباعة والنشر والتوزيص٤١٣.٤٨هـ ط الثانية ج٣ ص٤٨.

ما لم تخرج من كليتك لا تدخل في المحبة، وقال أبو يزيد:

من قتلته محبته فديته رؤيته، ومن قتله عشقه فديته منادمته[١].

والمحبة في الإسلام هي حال المؤمن، ولا نقصد بالحال هنا ما يراد به عند الصوفية، ولكن المقصود أنها صفة المؤمن التقي، فهي ليست حالا زائلة أو غير دائمة أو لحظة خاطفة بل هي صفته قال تعالى: "قل إن كان أباؤكم وأبناءكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من اللَّه ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي اللَّه بأمره"[٢].

فهي اتجاه العبد بكليته إلى اللَّه تعالى فلا يصغى إلا إلى ما يرضى اللَّه ولا يسرح بصره إلا بما أمر اللَّه ولا يسعى بقدميه إلا إلى ما أمره اللَّه أن يسعى إليه. وهذا الأمر مستفاد من حديث الولاية الذي يعتمده الصوفية منطلقاً رئيساً في سلوك الطريق وهو حديث قدسي جاء فيه: من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب ... وقد سبق تمامه .

فمحبة اللَّه للعبد تأتي بعد إخلاصه وتقربه إليه وإذا أحب اللَّه العبد شمله برحمته وعنايته، أما العبد فإنه إذا أحب اللَّه تعالى أطاعه واشتاق للقائه فتصبح الدنيا هينة عنده.

فليس الحب ادعاء حلولية أو اتحاد أو فناء وانجذاب بل يقوم على الفكر والذكر والاعتدال في تناول النصيب من الدنيا.

والمحب هو المخلص للَّه تعالى المجاهد فيه حق جهاده، لا المنقطع للرياضات الروحية كبدعة الرهبانية وفي القرآن الكريم أن من آمنوا وعملوا الصالحات يجزيهم اللَّه تعالى حباً وتكريماً قال تعالى: "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً"[٣] ويبادلهم حباً بحب ،وبقدر ما يشتغل العبد بغير اللَّه ينقص منه حب اللَّه.

(١) عوارف المعارف، ٣٢٠. بهامش إحياء علوم الدين للغزالي القاهرة/ ١٢١٦ هـ.

(٢) التوبة، ٢٤.

(٣) مريم: ٩٦.

حديث ابن جزي عن المحبة :

توسع الإمام في حديثه عن حال المحبة بأسلوبه السهل الممتنع فيقول :

"اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين : إحداهما : المحبة العامة التي لا يخلو منها كل مؤمن ، وهي واجبة ، والأخرى : المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربانيون ، والأولياء والأصفياء ، وهي أعلى المقامات ، وغاية المطلوبات ، فإن سائر مقامات الصالحين : كالخوف ، والرجاء ، والتوكل ، وغير ذلك فهي مبنية على حظوظ النفس ، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه ، وأن الراجي إنما يرجو منفعة نفسه؛ بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة ، واعلم أن سبب محبة اللَّه معرفته فتقوى المحبة على قدر قوّة المعرفة ، وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإن الموجب للمحبة أحد أمرين وكلاهما إذا اجتمع في شخص من خلق اللَّه تعالى كان في غاية الكمال[1] ، الموجب الأوّل الحسن والجمال ، والآخر الإحسان والإجمال ، فأما الجمال فهو محبوب بالطبع ، فإنّ الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن ، والإجمال مثل جمال اللَّه في حكمته البالغة وصنائعه البديعة ، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار ، التي تروق العقول وتهيج القلوب ، وإنما يدرك جمال اللَّه تعالى بالبصائر ، لا بالأبصار ، وأما الإحسان؛ فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وإحسان اللَّه إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر ، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّه لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [2]، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي ، والمؤمن والكافر ، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه ، وهو المستحق للمحبة وحده .[3]

ثم استطرد ابن جزي موضحا آثار المحبة وما ينتج عنها يقول :

واعلم أن محبة اللَّه إذ تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجدّ في

(١) انظر التسهيل صـ ١٢٢

(٢) [ إبراهيم : ٣٤ ]

(٣) التسهيل صـ ١٢٢

طاعته والنشاط لخدمته ، والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته ، والرضا بقضائه ، والشوق إلى لقائه والأنس بذكره ، والاستيحاش من غيره ، والفرار من الناس ، والانفراد في الخلوات ، وخروج الدنيا من القلب ، ومحبة كل من يحبه اللَّه وإيثاره على كل من سواه .[١]

حال الخوف والرجاء:

"الخوف": حال يصيب المؤمن عند قراءته النصوص التي جاءت في باب الترهيب والوعيد وأشدها ما جاء في ترهيب المشركين باللَّه تعالى في قوله: "وقال اللَّه لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون"[٢].

ويجعل الطوسي الخوف على ثلاثة أوجه: خوف الخواص وجاء فيه قوله تعالى: "فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين"[٣]، وخوف الأوساط وجاء فيه: "ولمن خاف مقام ربه جنتان"[٤]، وخوف العامة وجاء فيه: "يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب والأبصار"[٥].

والخوف يعطي المؤمن صفة الحذر من النفس ومن وساوس الشيطان وحالة الخوف هذه تحفظه من ارتكاب المعاصي وتزيد درجة الورع عنده.

وقال ﷺ:" عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية اللَّه، وعين باتت تحرس في سبيل اللَّه"[٦]. وكان عثمان بن عفان إذا ذكر الموت أو مر في مقبرة يبكي حتى تبتل لحيته وقيل في الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز لما اشتهرا به من الخوف والبكاء كأن النار لم تخلق إلا لهما.

(١) التسهيل صـ١٢٣

(٢) النحل: ٥١.

(٣) آل عمران: ١٧٥.

(٤) الرحمن: ٤٦.

(٥) النور: ٣٧.

(٦) سنن الترمذي ح ١٦٣٩ ج ٤ ص ١٧٥ دار إحياء التراث العربي بيروت.

وللصوفية أقوال في الخوف، قال ذو النون: الناس على الطريق مهما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق. وقيل: ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينه إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه. وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قصر الأجل[1].

و"الرجاء": والداعي إليه ما ورد في القرآن الكريم والسنة من نصوص عديدة تؤمل الإنسان برحمة اللَّه وعفوه وغفرانه وهو ما يدخل تحت باب الترغيب ويصل أمر الترغيب في القرآن إلى حد وعد اللَّه تعالى العباد بأنه قد يغفر لهم أي ذنب يقترفونه ماعدا الشرك في قوله تعالى: "إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"[2].

وللصوفية في الرجاء أقوال منها: أنه النظر إلى سعة رحمة اللَّه. قال أبو عبد اللَّه بن خفيف الرجاء استبشار بوجود فضله[3].

ومن المفيد أن يكون العبد دائماً بين حالي الخوف والرجاء فالخوف يردعه والرجاء يدفعه. وقال بعضهم: الخوف والرجاء جناحا طائر لا يطير إلا بهما.

والرجاء ثلاثة أقسام: رجاء في اللَّه ورجاء في سعة رحمة اللَّه ورجاء في ثواب اللَّه.

ومن الصوفية من يعد الخوف والرجاء من المقامات لا من الأحوال.

الخوف والرجاء عند ابن جزي:

تناول الإمام حالي الخوف والرجاء ولكونهما متلازمين كجناحي طائر قام بشرحهما في موضع واحد، يقول: "جمع اللَّه الخوف والطمع ليكون العبد خائفاً راجياً، كما قال اللَّه تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[4] فإن موجب الخوف معرفة سطوة اللَّه وشدّة عقابه، وموجب الرجاء معرفة رحمة اللَّه وعظيم ثوابه

(١) الرسالة، ٣٨ وما بعدها.

(٢) النساء: ٤٨.

(٣) بعدها،: ٣١٨.

(٤) [الإسراء: ٥٧]

، قال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي ﴾ [١] ومن عرف فضل اللَّه رجاه ، ومن عرف عذابه خافه ، إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله ﷺ : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللَّه تعالى »[٢]

درجات الخوف :

يقول ابن جزي :"واعلم أن الخوف على ثلاث درجات : الأولى : أن يكون ضعيفاً يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر ، فوجود هذا كالعدم والثانية : أن يكون قوياً فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة ، والثالثة : أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز ، وخير الأمور أوسطها .

أحوال الناس في الخوف :

يقول ابن جزي : "والناس في الخوف على ثلاث مقامات : فخوف العامة : من الذنوب ، وخوف الخاصة من الخاتمة ، وخوف خاصة الخاصة من السابقة ، فإن الخاتمة مبنية عليها " والرجاء على ثلاث درجات: الأولى رجاء رحمة اللَّه مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور، والثالثة أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن، فهذا حرام، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات: فمقام العامة رجاء ثواب اللَّه، ومقام الخاصة رضوان اللَّه، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء اللَّه حبا فيه وشوقا إليه.[٣]

حال المراقبة:

قال اللَّه تعالى: " وكان اللَّه على كل شيء رقيبا"[٤].

---

(١) [الحجر: ٤٩-٥٠]

(٢) التسهيل صـ٣٤٩ وما بعدها، ورواه مسلم باب الأمر بحسن الظن باللَّه ٧٤١٠.

(٣) التسهيل صـ٣٥٠

(٤) ٥٠١، اب: ٥٢

وقد روى البخاري في صحيحه عن رسول اللَّه ﷺ حين سأله جبريل ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره، حلوه ومره. قال: صدقت.

قال فأخبرني عن الإسلام. قال: أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا رسول اللَّه، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. الحديث رواه الشيخان.[1]

وقوله ﷺ: فإن لم تكن تراه فإنه يراك. إشارة إلى مقام المراقبة لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه.

ولا يصل العبد إلى مقام المراقبة إلا بعد فراغه من المحاسبة فإذا حاسب العبد نفسه وأصلح حاله في الوقت، ولازم طريق الحق وأحسن بينه وبين اللَّه وراقب اللَّه في عموم أحواله فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله، ويسمع أقواله[2].

وقد عرف أبو القاسم البغدادي المراقبة بأنها: مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة[3].

وقال إبراهيم الخواص: المراقبة تورث خلوص السر والعلانية للَّه تعالى.

وقال ذو النون المصري: علامة المراقبة: إيثار ما آثر اللَّه وتعظيم ما عظم اللَّه، وتصغير ما صغر اللَّه.

ولقد سمع عمر بن الخطاب امرأة تقول لابنتها: أخلطى اللبن بالماء فأبت البنت وقالت أن أمير المؤمنين عمر قد أمر بعدم خلط اللبن بالماء. قالت الأم: أن عمر لا يرانا،

(١) متفق عليه البخاري ح ٥٠، ومسلم ح ١٠٢.

(٢) الرسالة القشيرية، ج١ ص ٤٦٤.

(٣) الرسالة القشيرية

فقالت البنت: إذا كان عمر لا يرانا فرب عمر يرانا.

وابن عمر رضي اللَّه عنهما كان في سفر فرأى غلاما يرعى غنما فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة؟ فقال: إنها ليست لي. فقال له: قل لصاحبها: أن الذئب أخذ واحدة. فقال الغلام: أين اللَّه؟

نخلص من ذلك: أن حال المراقبة من أحوال الصوفية والذي يحس فيه الصوفي أن عين اللَّه ترقب حركاته وسكناته، وخفقات قلبه وأنه إذا لم يصل إلى درجة رؤيته للَّه فلا أقل من إحساسه برؤية اللَّه له كما قال أحدهم:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ..... ولكن قل عليّ رقيب

والمراقبة عند بن جزي هي مرتبة الإحسان وهو الذي سأل عنه جبريل رسول اللَّه ﷺ فقال له: «أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة

يقول ابن جزي متحدثا عن المراقبة :

" المراقبة مقام شريف أصله علم وحال ، ثم يثمر حالين : أما العلم : فهو معرفة العبد؛ بأن اللَّه مطلع عليه ، ناظر إليه يرى جميع أعماله ، ويسمع جميع أقواله ، ويعلم كل ما يخطر على باله ، وأما الحال : فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه، ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال: كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين : الحياء من اللَّه ، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجِدّ في الطاعات ، وكانت ثمرتها عند المقرّبين : الشهادة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال ، وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول اللَّه ﷺ بقوله : « الإحسان أن تعبد اللَّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، فقوله أن تعبد اللَّه كأنك تراه [(١)]: إشارة إلى الثمرة الثانية ، وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم : كمن يشاهد ملكاً عظيماً ، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة ، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك : إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن

(١) سبق تخريجه.

لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين ، فاعلم أنه يراك [1]، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين ، فلما فسر الإحسان أوّل مرة بالمقام الأعلى؛ رأى أن كثيراً من الناس قد يعجزون عنه ، فنزل عنه إلى المقام الآخر ، واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تتقدّم قبلها المشارطة والمرابطة ، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة ، فأما المشارطة : فهي اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصي ، وأما المرابطة[2]؛ فهي معاهدة العبد لربه على ذلك ، ثم بعد المشارطة والمرابطة أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره ، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه ، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عاهد عليه اللَّه : حمد اللَّه ، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة ، ونقض عهد المرابطة ، عاقب النفس عقاباً بزجرها عن العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشارطة ، والمرابطة وحافظ على المراقبة ، ثم اختبر بالمحاسبة ، فهكذا يكن حتى يلقى اللَّه تعالى .[3]

(١) التسهيل صـ٢٠٨ وما بعدها

(٢) المرابطة : الثبات وإعداد العدة وكما أن الرباط لزوم الثغر لئلا يهجم منه العدو فكذلك الرباط أيضا لزوم ثغر القلب لئلا يهجم عليه الشيطان فيملكه أو يخربه أو يشعثه. انظر مدارج السالكين ج٢ ص ١٥٩، وما بعدها.

(٣) انظر التسهيل صـ٢٠٩، وراجع إحياء علوم الدين ج٤ ص ٣٩٤.

## المبحث الثالث في المقامات

**تمهيد :**

المقامات في اللغة : جمع مقام، وهو موضع القيام، ويشمل الامر الحسي كقوله تعالي : ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلي﴾[١] ، والامر المعنوي كقوله تعالي : ﴿عسي أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾[٢] وهو مقام الشفاعة.

المقام عند الصوفية: هو استمرار الحال واستقراره ودوامه بحيث يصبح صفة دائمة لصاحبه. فالمقامات: هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى اللَّه فيقف فيها فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى يهيئ اللَّه ﷻ سلوك الطريق إلى المنزل الثاني[٣].

والمقامات مكاسب تحصل ببذل المجهود ومراحل يرتقي فيها المريد يقول الطوسي في اللمع: إن قيل ما معنى المقامات؟ يقال معناه مقام العبد بين يدي اللَّه ﷻ فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلي اللَّه عز وجل قال تعالى: "ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد"[٤]، وقال: "وما منا إلا له مقام معلوم"[٥].

واختلف القوم في عدد المقامات وترتيبها كل منهم يشير إلى ترتيب معين إذ قد يعرض للسالك كما يقولون أعلى المقامات والأحوال في أول بداية سيره فيفتح عليه من مقام المحبة والرضا والأنس والطمأنينة ما لم يحصل بعد لسالك في نهايته، ويحتاج هذا السالك في نهايته إلى أمور من التوبة والمحاسبة أعظم من حاجة صاحب البداية إليها. فليس في ذلك كما يقول ابن القيم ترتيب كلي لازم للسلوك. ولذلك كان

(١) [البقرة: ١٢٥]

(٢) [الاسراء: ٧٩]

(٣) المنقذ من الضلال، ص ١٦٩ من المقدمة، تحقيق د/ عبد الحليم محمود.

(٤) إبراهيم: ١٤

(٥) الصافات: ١٦٤.

الأولى في هذه المقامات أن يتكلم فيها تكلما مطلقاً على طريقة المتقدمين منهم[١].

كما أن ترتيب هذه المقامات ليس باعتبار أن السالك يقطع المقام ويفارقه وينتقل إلى الثاني كمنازل السبر الحسي، وإنما هذا الترتيب هو ترتيب المشروط المتوقف على شرطه المصاحب له واستحالة ثبوته بدونه، فإذا قيل إن مقام الرضا بعد مقام الصبر لا يعني أنه يفارق الصبر وينتقل إلى الرضا وإنما يعني أنه لا يحصل له مقام الرضا حتى يتقدم له قبله مقام الصبر، والتوبة مثلاً كما أنها من أول المقامات فهي آخرها أيضاً بل هي في كل مقام مستصحبة[٢].

فشرط المقام ألا يرتقي من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام. ولا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة اللَّه تعالى زيادة بذلك المقام ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة.

وكل مقام من المقامات السالكون بالنسبة إليه نوعان: أبرار ومقربون. والأبرار في أذياله والمقربون في ذروة سنامه وكل من النوعين لا يحصي تفاوتهم وتفاضل درجاتهم إلا اللَّه.

ومن المقامات ما يكون جامعاً لمقامين ومنها ما يكون جامعاً لأكثر ومنها ما يتدرج فيه جميع المقامات فلا يستحق صاحبه اسمه إلا عند استجماع جميع المقامات فيه فمقام التوبة مثلا جامع لمقام المحاسبة والخوف.. ومقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان.. "وقليل من عبادي الشكور"[٣].

ويعد الطوسي للسالك سبع مقامات على الترتيب الآتي:

التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا[٤] وهي عند أبي طالب

(١) مدارج السالكين، ١/ ١٣٨ دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣ تحقيق : محمد حامد الفقي.

(٢) السابق، ١/ ١٣٣.

(٣) سبأ: ٣٤.

(٤) اللمع، ٦٨-٨٠. تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور دار الكتب الحديثة القاهرة ١٣٨٠هـ.

المكي تسعة إذ يضيف إليها الشكر والرجاء والخوف ولا يذكر الورع أما عند الكلاباذي فهي غامضة، كلامه فيها مرسل يذكر المقام ويعرفه ويبين أن لكل مقام بدءا ونهاية وبينها أحوال متفاوتة وأن لكل مقام عين وإلى كل حال إشارة ومع كل مقام إثبات ونفي. فهو يخلط بين المقامات والأحوال. وينفرد بعد الإيمان والأمانة من المقامات ويعقد أبواباً للتوبة والزهد وغيرها مما يطلق عليه القوم مقامات ولكن لا ينعتها بأنها مقامات.

فالمقامات عنده غير محددة رغم حديثة الطويل عنها ومثله في ذلك القشيري.

ويصل الغزالي بالمقامات إلى ثمانية عشر مقاماً. وهي ما أسماها بالمنجيات في كتابه الإحياء الذي قسمه إلى أربعة أرباع. يجعل فيه ربعاً العبادات وربعا للمنجيات مع أن العبادات هي المنجيات الحقيقية في الإسلام!!

أما ابن سبعين فيقفز بعدد المقامات إلى مائة وخمسين مقاماً[(١)].

في الوقت الذي لا يهتم هو نفسه بتلك المقامات وربما ينتقد أصحابها ويسميهم متصوفة المقامات ويسمى تصوفهم التصوف بالعلوم الصناعية ولا يجعلها من صميم التصوف بل يسميها لواحق. والتصوف الحق عنده هو الذي يقوم على المجاهدة لا على المقامات[(٢)].

ويخلط السهروردي بين المقامات والأحوال ويجهد نفسه ليحدد المقامات فيجعلها أربعة هي الإيمان والتوبة والزهد والعبودية يضاف إليها أربعة أخرى هي قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المقام واعتزال الناس[(٣)].

والأربعة الأخيرة هي عناصر الرياضة الصوفية: الصمت والجوع والسهر والخلوة.

---

(١) بد العارف، ١٢٨، تحقيق د/ جورج كنورة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨، دار الاندلس بيروت.

(٢) محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ، ص ٣٨٢، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

(٣) عوارف المعارف، ٢٦٢،

واشتهر عن أبي يزيد أنه قال: لما رأيت رب العزة في المنام فقال له كيف الطريق إليك؟ فقال: أترك نفسك وتعال. قال أبو يزيد فانسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها[١].

ومنهم من يرى أن المولهين والمتولهين والمجانين أولياء اللَّه وهم في أعلى المقامات. وهذا مما جاوزوا فيه الصواب.

حديث ابن جُزي عن المقامات :

تناول ابن جُزي في تفسيره اثني عشر مقاما من [مقامات] التصوف في مواضعها من القرآن:

"فتكلم على الشكر في أم القرآن. لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى. وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في البقرة هُدًى لِلْمُتَّقِينَ[٢] وعلى الذكر في قوله فيها فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ[٣] وعلى الصبر في قوله تعالى: وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ[٤]

وعلي التوحيد في قوله فيها: وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ[٥]وعلى محبة اللَّه في قوله فيها: وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ [٦]وعلى التوكل في قوله في آل عمران: فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ[٧] وعلى المراقبة في قوله في النساء: إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً [٨] وعلى الخوف والرجاء في قوله في الأعراف: وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً[٩]وعلى التوبة في قوله في

(١) الفتاوى، ١٠/ ٥١٨

(٢) [البقرة: ٢]

(٣) [البقرة: ١٥٣]

(٤) [البقرة: ١٥٥]

(٥) [البقرة: ١٦٣]

(٦) [البقرة: ١٦٥]

(٧) [آل عمران: ١٥٩]

(٨) [النساء: ١]

(٩) [الأعراف: ٥٦]

النور: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً[١] وعلى الإخلاص في قوله في لم يكن: وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ "[٢].

مع ملاحظة ان ابن جُزي لا يفرق في حديثه بين المقامات والاحوال فالأحوال عنده مقامات.[٣]

ولنذكر جملة من هذه المقامات :

١ – وأول المقامات مقام التوحيد وهو أولى المقامات أن يبدأ به كما أنه أول دعوة الرسل كلهم قال ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا اللَّه و[٤]هو أول فرض فرضه اللَّه على العباد"[٥].

يقول الكلاباذي : "اجتمعت الصوفية على أن اللَّه واحد أحد فرد صمد قديم عالم قادر...موصوف بكل ما وصف به نفسه من صفاته، مسمى بكل ما سمى به نفسه ، لم يزل قديما بأسمائه وصفاته غير مشابه للخلق بوجه من الوجوه ، لاتشبه ذاته الذوات ولا صفته الصفات لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدالة على حدثهم .[٦]

أما ابن جزي فقد تحدث عن مقام التوحيد وهو بصدد تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[٧]

يقول :"الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق اللَّه تعالى : أحدها : أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد ، والآخر : أنه لا شريك له ، والثالث : أنه لا يتبعض ولا ينقسم ، وقد

(١) [النور:٣١]

(٢) [البينة: ٤]، انظر التسهيل لابن جُزي صـ١٤

(٣) راجع التسهيل لابن جُزي صـ٧٧، صـ١٢١

(٤) صحيح البخاري باب لاَ تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَة. ح١٤٥٨.

(٥) مدارج السالكين، ١/ ١٣٥ وانظر التصوف عقيدة وسلوكا ص٩٠ وما بعدها، د/ عبد الفتاح أحمد الفاوى _ط الاولي_١٤١٢ هجريه_١٩٩٢م_الناشر مكتبه الزهراء .

(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣. ط الخانجي القاهرة ١٩٩٤ م

(٧) البقرة : ١٦٣.

فسر المراد به هنا في قوله؛ لا إله إلاّ هو .

وإذا ثبت له تعالى الوحدانية، انتفت عنه (الكموم) الخمسة المشهورة، وهي الكم المنفصل في الذات، والكم المتصل فيها، والكم المنفصل في الصفات والمتصل فيها، والكم المنفصل في الأفعال.

وأعلم أن توحيد الخلق للّه تعالى على ثلاث درجات الأولى : توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا ، وينجي من الخلود في النار في الآخرة ، وهو نفي الشركاء والأنداد ، والصاحبة والأولاد ، والأشباه والأضداد[1] .

الدرجة الثانية : توحيد الخاصة ، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من اللّه وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن ، وإنما مقام الخاص في التوحيد يغني في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل ، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى اللّه والتوكل عليه وحده واطراح جميع الخلق ، فلا يرجو إلا اللّه ، ولا يخاف أحداً سواه إذ ليس يرى فاعلاً إلاّ إياه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس بيدهم شيء من الأمر ، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب ، والدرجة الثالثة : ألا يرى في الوجود إلا اللّه وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات ، حتى كأنها عنده معدومة . وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه ، وعن توحيده : أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة اللّه"[2] .

هذا وكتب الصوفية ملأي بالحديث عن مقام التوحيد وإليكم جملة من أقوالهم، يقول الكلاباذي :

"أركان التوحيد عند الصوفية سبعة إفراد القدم عن الحدث وتنزيه القديم عن إدراك المحدث له وترك التساوي بين النعوت وإزالة العلة عن الربوبية وإجلال الحق عن أن تجري قدرة الحدث عليه فتلونه وتنزيهه عن التمييز والتأمل وتبرئته عن القياس

(١) انظر التسهيل صـ١٢١

(٢) التسهيل صـ١٢١ وما بعدها

ونلاحظ هنا اتفاقاً بين بن جزي وبين الكلاباذي في حديثه عن التوحيد فقد ذكر المعاني المقصودة من التوحيد في نفي التعدد والشبيه والنظير وعدم الانقسام والغيبة في عالم الملكوت والاستغراق في حال الفناء والانس والوحشة فيما سوي اللَّه . قال محمد بن موسى الواسطي: جملة التوحيد أن كل ما يتسع به اللسان أو يشير إليه البيان من تعظيم أو تجريد أو تفريد فهو معلول والحقيقة وراء ذلك، معناه أن كل ذلك من أوصافك وصفاتك محدثة معلولة مثلك وحقيقة الحق هو وصفه له. وقال بعض الكبراء: التوحيد إفرادك متوحدا وهو أن لا يشهدك الحق إياك قال فارس: لا يصح التوحيد ما بقيت عليك علقة من التجريد والموحد بالقول لا يشهد السر منفردا به والموحد بالحال غائب بحاله عن الأقوال ورؤية الحق حال لا يشهده إلا كل ما له ولا سبيل إلى توحيده بلا قال ولا حال وقال بعضهم: التوحيد هو الخروج عن جميعك بشرط استيفاء ما عليك وأن لا يعود عليك ما يقطعك عنه معناه تبذل مجهودك في أداء حق اللَّه ثم تتبرأ من رؤية أداء حقه ويستوفيك التوحيد عن أوصافك فلا يعود عليك منها شيء فإنه قاطع لك عنه.[١]

قال الشبلي: لا يتحقق العبد بالتوحيد حتي يستوحش من سره وحشة لظهور الحق عليه وقال بعضهم : الموحد من حال اللَّه بينه وبين الدارين جميعا لأن الحق يحمي حريمه قال جل وعز: ( نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)[٢] فلا نردكم إلى معنى سوانا في الدنيا والآخرة. وعلامة الموجد أن لا يجرى عليه ذكر إخطار ما لا حقيقة له عند الحق فالشواهد عن سره مصروفة والأعواض عن قلبه مطرودة فلا شاهد يشهده ولا عوض يعبده ولا سر يطالعه ولا بر يلاحظه هو في حقه عن حقه محجوب ولا حظه عن حظه مسلوب فلا نصيب له في نصيب وهو مأسور في أوفر النصيب والحق أوفر نصيب ما فاته الحق فليس له شيء وإن ملك الكون ومن وجد الحق فله كل

(١) التعرف للكلاباذي ص١٠٣

(٢) فصلت :٣١

شيء وإن لم يملك ذرة معناه هو قائم بحقه محجوب عن رؤية قيامه بحقه وهو مسلوب عن حظوظه وهو يرى نفسه قائمة بحظوظها ونصيبه من الحق وجود الحق وهو فيه مأسور وليس له متقدم ولا متأخر.[1]

وهكذا تناول الصوفية مقام التوحيد من زوايا مختلفة ، فبعضهم بين أركانه ،والبعض تناول الآثار المنبعثة عنه ، وفريق أكد على التجرد والاستغراق في الحال والمشاهدة ، مما يدل على علو قدر هذا المقام عندهم .

مقام التقوى :

في السطور التالية أذكر بعض أقوال أرباب التصوف في التقوى :

قال سهل: التقوى مشاهدة الأحوال على قدم الانفراد. معناه أن يتقى مما سوى اللَّه سكونا إليه و إجلالا له وفي قوله تعالى: ( فاتقوا اللَّه ما استطعتم )[2] أي بجميع استطاعتكم. قال سهل: ما استطعتم إظهار الفقر والفاقة إليه. قال محمد بن سنجان: التقوى ترك ما دون اللَّه. قال سهل في قوله تعالى: ( ولكن يناله التقوى منكم )[3] قال هو التبريء وهو الإخلاص.

قال غيره: أصل التقوى مجانبة النهى ومباينة النفس، فعلى قدر ما فاتهم من حظوظ أنفسهم أدركوا اليقين.[4].

أما ابن جزي فقد أسهب في حديثه عن التقوى مبينا فضلها وثمارها و درجاتها فابتدأ بفضلها يقول " الأول : في فضائلها المستنبطة من القرآن ، وهي خمس عشرة : الهد ى كقوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[5] والنصرة ، لقوله : ﴿ إِنَّ اللَّه مَعَ الذين اتقوا ﴾[6]

(١) التعرف للكلاباذي ص ١٠٤

(٢) التغابن :١٦

(٣) الحج :٣٧

(٤) التعرف ص٦٩، ٧٠، وانظر مدراج السالكين لابن القيم ج٢ ص٣٩٩

(٥) [البقرة : ٢]

(٦) [النحل :١٢٨]

والولاية لقوله : ﴿ واللَّه وَلِيُّ المتقين ﴾[١]والمحبة لقوله : ﴿ إِنَّ اللَّه يُحِبُّ المتقين﴾[٢] والمغفرة لقوله : ﴿ إِن تَتَّقُواْ اللَّه يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾[٣]والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب لقوله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّه يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴾[٤]الآية وتيسير الأمور لقوله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّه يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾[٥]وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّه يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾[٦]وتقبل الأعمال لقوله : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّه مِنَ المتقين ﴾[٧]والفلاح لقوله : ﴿ واتقوا اللَّه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٨] والبشرى لقوله : ﴿ لَهُمُ البشرى فِي الحياة الدنيا وَفِي الآخرة ﴾[٩] ودخول الجنة لقوله : ﴿ إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النعيم ﴾[١٠]والنجاة من النار لقوله : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الذين اتقوا ﴾[١١].

ثم ذكر ابن جزي البواعث على التقوى و هي عشرة :" خوف العقاب الأخروي ، وخوف العقاب الدنيوي ، ورجاء الثواب الدنيوي ، ورجاء الثواب الأخروي ، و خوف الحساب ، والحياء : من نظر اللَّه ، وهو مقام المراقبة ، والشكر على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّه مِنْ عِبَادِهِ العلماء ﴾[١٢]وتعظيم جلال اللَّه ، وهو مقام

(١) [الجاثية : ١٨]
(٢) [براءة : ٤]
(٣) [الأنفال : ٢٩]
(٤) [الطلاق : ٢]
(٥) [الطلاق : ٤]
(٦) [الطلاق : ٥]
(٧) [المائدة : ٢٧]
(٨) [البقرة : ١٨٩]
(٩) [يونس : ٦٤]
(١٠) [القلم : ٣٤]
(١١) [مريم : ٧٢] وانظر التسهيل صـ٧٦ وما بعدها
(١٢) [فاطر : ٢٨]

الهيبة ، وصدق المحبة لقول القائل :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وللَّه در القائل :

قالت وقد سألت عن حال عاشقها : ... للَّه صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت: لو كان يظن الموت من ظمأ... وقلت : قف عن ورود الماء لم يرد"[1]

وأخيراً تناول ابن جزي درجات التقوى و هي خمس :" أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام، وأن يتقي المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة، وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع، وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد، وأن يتقي حضور غير اللَّه على قلبه، وهو مقام المشاهدة"[2].

مقام "التوبة".

التوبة: عودة إلى اللَّه تعالى وطاعته بعد معصيته أو ذنب، وتكون العودة مقرونة بندم ومحاسبة للنفس حتى لا تحصل أخطاء الماضي في المستقبل وقد دعا اللَّه تعالى إلى التوبة وأخبر أنه سبحانه يتلقى في الليل مسيء النهار إذا تاب ويتلقى مسيء الليل في النهار إذا تاب، والملائكة تسرع اذا تاب عبد من عباد اللَّه بزف الخبر إلى اللَّه ﷻ الذي يسر بعبده التائب العائد إلى طاعته قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى اللَّه توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار"[3].

لهذا عد الصوفية التوبة منطلقاً أساسياً لسلوك الطريق وهي شرط لابد منه عرفها القشيري بقوله: التوبة أول منزلة من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين

(١) انظر التسهيل صـ٧٧

(٢) انظر التسهيل صـ٧٧

(٣) التحريم: ٨.

وحقيقة التوبة في لغة العرب الرجوع يقال تاب أي رجع فالتوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه[١].

وشرطها عند القوم:

١ - الندم على ما عمل من المخالفات.

٢ - ترك الزلة في الحال.

٣- العزم على ألا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي.

أما الأصفهاني فيرى أن للتوبة شرائط فرضاً ونفلاً: ففرضها ترك الذنب مع عدم العودة إليه ونفلها التأسف لما سلف من الذنب والاستغفار له وترك[٢] بعض المناجاة مقابلة لما فات من العصيان.

ويحدد المكي أنواع الفضول التي ينبغي للتائب تركها بستة أشياء:

١ - ترك فضول الكلام.

٢ - ترك فضول النظر.

٣- ترك فضول المشي.

٤، ٥، ٦ - ترك فضول الطعام والشراب واللباس.

ولا يقوى على ترك الشبهات إلا من ترك الشهوات[٣].

والتوبة عند رويم هي التوبة من التوبة وعند رابعة: استغفر اللَّه العظيم من قلة صدقي في قولي استغفر اللَّه. ويقسمها بعضهم: إلى توبة إنابة وتوبة استجابة والأولى تعني الخوف من اللَّه لقدرته عليك والثانية تعني الاستحياء منه لقربه منك. وقالوا توبة

(١) الرسالةللقشيري: ص٢٥٣ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وزميله ط ١٩٦٠ م نشر دار الكتب الحديثة بمصر، وانظر التصوف عقيدة وسلوكا ص٩٤ ومابعدها.

(٢) الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب، الشريعة إلى مكارم الشريعة، ص ١٣٤، مصر ١٢٩٩هـ.

(٣) قوت القلوب، ص٣٧٠ لأبي طالب المكي ط الأولي المطبعة المصرية ١٣٥١هـ- ١٩٣٢م.

العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة الأنبياء من رؤية العجز[١].

أما الامام ابن جزي فقد عرف التوبة وبين وجوبها يقول : "التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وفرائضها ثلاثة : الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال ، لا من حيث أضر ببدن أو مال ، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان ، والعزم أن لا يعود إليها أبداً ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزماً مجدّداً ، وآدابها ثلاثة : الاعتراف بالذنب مقروناً بالانكسار ، والإكثار من التضرع والاستغفار ، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات ، ومراتبها سبع : فتوبة الكفار من الكفر ، وتوبة المخلطين من الذنوب والكبائر ، وتوبة العدول من الصغائر وتوبة العابدين من الفترات ، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات ، وتوبة أهل الورع من الشبهات ، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات"[٢].

وفي موضع آخر يذكر الإمام أن قبول التوبة على ثلاثة أوجه : "أحدها التوبة من الكفر فهي مقبولة قطعاً والثاني التوبة من مظالم العباد فهي غير مقبولة حتى تردّ المظالم أو يستحل منها والثالث التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين اللّه فالصحيح أنها مقبولة[٣].

هذا ومن ناحية أخري فقد تعرض ابن جُزي لبواعث التوبة وهي سبعة : خوف العقاب ، ورجاء الثواب ، والخجل من الحساب ، ومحبة الحبيب ، ومراقبة الرقيب القريب ، وتعظيم المقام ، وشكر الإنعام[٤].

ولعل ما تفرد به ابن جزي عن الصوفية تعرضه لمراتب التوبة وبواعثها المختلفة .

(١) عوارف المعارف، ٣٠٩.

(٢) انظر التسهيل لابن جُزي صـ٦٦٥ وما بعدها.

(٣) انظر التسهيل صـ٨٨٣

(٤) انظر التسهيل صـ٦٦٦

مقام التوكل:

التوكل هو كما يقول الإمام سهل بن عبد اللَّه

الاسترسال مع اللَّه على ما يريد "ومعنى ذلك: أن يسكن الإنسان إلى النتائج بعد أن يكون قد أخذ بالأسباب بقدر طاقته".

وقال حمدون القصار (من أئمة الصوفية):

التوكل هو الاعتصام باللَّه تعالى[١]: أي الاعتصام باللَّه في اتباع أوامره، والاعتصام باللَّه في اجتناب نواهيه، والاعتصام باللَّه في الحركة، والاعتصام باللَّه في النتائج والسكون إليه في كل ذلك.

وسئل يحيى بن معاذ (من أئمة الصوفية): متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: " إذا رضي باللَّه تعالى وكيلاً".

وقد أمر اللَّه بالتوكل وجعله مقرونًا بالإيمان لا ينفك عنه فقال ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٢].

وقد يسمى توكلاً وتسليمًا، وتفويضًا، والتوكل جزء لا يتجزأ من الإسلام، فإذا توكل الإنسان على اللَّه، وحسن توكله أحبه اللَّه تعالى، وتولى أمره بنفسه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٣]

حديث ابن جزي عن التوكل :

المراد بالتوكل عند ابن جزي : "الاعتماد على اللَّه في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها ، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها ، وهو من أعلى المقامات عند ابن جزي ويرجع ذلك لوجهين : أحدهما قوله : ﴿ إِنَّ اللَّه يُحِبُّ المتوكلين ﴾[٤]

(١) عوارف المعارف ص ٢٤٠.

(٢) [إبراهيم : ١١]

(٣) [آل عمران: ١٥٦]

(٤) [آل عمران : ١٥٩]

والآخر : الضمان الذي في قوله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[1] وقد يكون واجباً لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّه فتوكلوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] فجعله شرطاً في الإيمان ، والظاهر قوله جل جلاله ، ﴿ وَعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون ﴾[3] فإن الأمر محمول على الوجوب[4] .

مراتب التوكل :

ومراتب التوكل عنده ثلاث: "الأولى : أن يعتمد العبد على ربه ، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له ، وقيامه بمصالحه . والثانية : أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه ، فإنه لا يعرف سواها ، ولا يلجأ إلاّ إليها ، . والثالثة : أن يكون العبد مع ربه : كالميت بين يدي الغاسل ، قد أسلم نفسه إليه بالكلية . فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه ، بخلاف صاحب الثانية ، وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة . وهذه الدرجات مبنيّة على التوحيد الخاص فهي تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه"[5] .

ثم عرض ابن جزي لمسألة الأخذ بالأسباب وهل تتنافى مع التوكل أو لا ، فذكر أن "الأسباب على ثلاثة أقسام : أحدهما : سبب معلوم قطعاً قد أجراه اللَّه تعالى : فهذا لا يجوز تركه : كالأكل لدفع الجوع ، واللباس لدفع البرد . والثاني : سبب مظنون : كالتجارة وطلب المعاش ، وشبه ذلك ، فهذا لا يقدح فعله في التوكل لأن التوكل من أعمال القلب ، لا من أعمال البدن ، ويجوز تركه لمن قوي عليه ، والثالث : سبب موهوم بعيد ، فهذا يقدح فعله في التوكل ، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر اللَّه تعالى بالكلية ، فإن المتوكل له مراد واختيار ، وهو يطلب مراده باعتماده على

(١) [الطلاق : ٣]

(٢) [المائدة : ٢٣]

(٣) [آل عمران : ١٢٢]

(٤) انظر التسهيل صـ ٢٠٠

(٥) انظر التسهيل صـ ٢٠٠

ربه ، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار ، بل أسند المراد والاختيار إلى اللَّه تعالى ، فهو أكمل أدباً مع اللَّه تعالى[١] .

قلت وهذا صحيح فليس المراد بالتوكل ترك الأخذ بالأسباب، بل لابد مع التوكل أن يأخذ بالأسباب متوكلاً على اللَّه تعالى، وإلا أدى ذلك إلى التواكل أو الكسل.

يقول الإمام الغزالي:

"وقد يظن أن معنى التوكل ترك الاكتساب بالبدن، وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كخرقة ملقاه لا حركة لها، وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع.[٢]

إن المعنى الحقيقي للتوكل هو:

أن يعتقد الإنسان اعتقادًا جازمًا، أن الأسباب لا تلغى إرادة اللَّه، وأن إرادة اللَّه مشرفة على تلك الأسباب في أسسها وبواعثها، وهي مشرفة على الأسباب في غايتها ونهايتها. وعلى الإنسان أن يعمل كما أمره الشرع وعليه أن يكل أمر النتائج إلى اللَّه سبحانه وتعالى.

وقد كان رسول اللَّه ﷺ إمام المتوكلين، وكان عليه الصلاة والسلام امام المجاهدين المكافحين الآخذين بالأسباب.[٣]

مقام "الصبر"

وهو انتظار الفرج من اللَّه. وقف رجل على الشبلي فقال: أي صبر أشد على الصابرين؟ فقال الصبر في اللَّه فقال لا، فقال الصبر للَّه فقال لا، فقال الصبر مع اللَّه فقال لا. فغضب الشبلي وقال ويحك. أي شيء هو؟ فقال الرجل: الصبر عن اللَّه. قال فصرخ الشبلي صرخة كادت أن تتلف روحه.. وذلك أن الصبر عن اللَّه يكون في أخص

(١) انظر التسهيل صـ ٢٠٠ وما بعدها

(٢) إحياء علوم الدين ج٦ ص٢٧٤.

(٣) التصوف الإسلامي قضايا مناقشات ص١٨٢ وما بعدها د. عبد العزيز المرشدي ت ٢٠٠٤.

مقامات المشاهدة[1].

ويقسم العلماء الصبر إلى ثلاثة أقسام: الصبر عن المعصية والصبر على الطاعة والصبر عند المعصية، قال تعالى: "واصبر وما صبرك إلا باللَّه"[2].

وإذا ما تعرضنا لحديث ابن جزي عن مقام الصبر وجدناه مفصلاً القول فيه فبداية يذكر أن الصبر ورد في القرآن أكثر من سبعين موضعاً، وذلك لعظمة موقعه في الدين. قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاّ الصبر فإنه لا يحصر أجره، وذكر اللَّه للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة: أولها: المحبة، قال: ﴿ واللَّه يُحِبُّ الصابرين ﴾[3]. والثاني: النصر قال: ﴿ إِنَّ اللَّه مَعَ الصابرين ﴾[4]. والثالث: غرفات الجنة. قال: ﴿ يُجْزَوْنَ الغرفة بِمَا صَبَرُواْ ﴾[5]. والرابع: الأجر الجزيل قال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[6] والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية، ففيها البشارة، قال: ﴿ وَبَشِّرِ الصابرين ﴾[7] والصلاة والرحمة والهداية ﴿ أولئك عَلَيْهِمْ صلوات مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأولئك هُمُ المهتدون ﴾[8]

أوجه الصبر:

ذكر الإمام ابن جزي أن الصبر على أربعة أوجه: صبر على البلاء، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع. وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان،

(١) عوارف المعارف، ٣١٢ وينظر التصوف عقيدة وسلوكا ص٩٧ وما بعدها.
(٢) النحل: ١٢٧.
(٣) [آل عمران: ١٤٦]
(٤) [البقرة: ١٥٥]
(٥) [الفرقان: ٧٥]
(٦) [الزمر: ١٠]
(٧) [البقرة: ١٥٥]
(٨) [البقرة: ١٥٧]، وانظر التسهيل صـ ١٢٠

وعدم التكبر بها . وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها . وصبر عن المعاصي بكف النفس عنها ، وفوق الصبر التسليم؛ وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهراً ، وترك الكراهة باطناً ، وفوق التسليم : الرضا بالقضاء ، وهو سرور النفس بفعل اللَّه وهو صادر عن المحبة ، وكل ما يفعله المحبوب محبوب[١] .

مقام الشكر:

حقيقة الشكر: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وعلى هذا يوصف اللَّه بأنه شكور توسعًا بمعنى أنه يجازي العباد على الشكر.

فسمى جزاء الشكر شكرًا ،وقيل حقيقة الشكر: الثناء على المحسن بذكر إحسانه وعلى هذا... فشكر العبد اللَّه، ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه وشكر اللَّه للعبد ثناؤه عليه بذكر طاعته له.

أقسام الشكر:

١- شكر باللسان: وهو اعترافه بالنعم.

٢- شكر البدن والأركان: وهو الاتصاف بالوفاء والخدمة.

٣- شكر القلب: وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة الحرمة.

وقال الجنيد: الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة.

وقال الشبلي: الشكر رؤية المنعم لا النعمة.

والشكر وجهان:

١- شاكر: وهو الذي يشكر على الموجود (العطاء).

٢- شكور: وهو الذي يشكر على المفقود (البلاء).

وقال داود عليه السلام: إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة تستوجب الشكر، فأوحى اللَّه إليه الآن قد شكرتني.[٢]

(١) انظر التسهيل صـ ١٢٠

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٢٠، وانظر التصوف الإسلامي قضايا مناقشات ص ٢٠٥ : ٢٠٧ .

هذا وقد بلغ الامر بابن جزي أن قدم الشكر علي الايمان بل جعله سبباً موصلاً إليه لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها ثم يؤمن بالمنعم فكان الشكر سببا للإيمان: متقدّم عليه، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان[1] ثم فرق ثانية بين الحمد والشكر:

"فالحمد عنده أَعَمُّ من الشكر؛ لأنّ الشكر لا يكون إلاّ جزاء على نعمة ، والحمد يكون جزاء كالشكر ، ويكون ثناء ابتداء ، كما أنّ الشكر قد يكون أعم من الحمد ، لأن الحمد باللسان؛ والشكر باللسان والقلب ، والجوارح . يقول :إذا فهمتَ عموم الحمد : علمتَ أن قولك : الحمد للَّه يقتضي الثناء عليه؛ لما هو من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات ، ويتضمن معاني أسمائه الحسنى التسعة والتسعين ، ويقتضي شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميعَ خلقه في الآخرة والأولى ، فيا لها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات ، واتفق دون عدّهَا عقول الخلائق ، ويكفيك أن اللَّه جعلها أوّل كتابه ، وآخر دعوى أهل الجنة .[2]

وهذه المسألة -الفرق بين الحمد والشكر- من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم فمنهم من يري :

أن الحمد على ما دفع والشكر على ما صنع.[3] وذلك تصديقًا لقول اللَّه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾[4].

ومنهم من يرى أنهما وجهان لعملة واحدة.

فإن الحمد أحيانًا يكون على الوهب والعطاء كما قال اللَّه تعالى على لسان إبراهيم

(١) انظر التسهيل ص ٢٥٦

(٢) انظر التسهيل صـ ٧١

(٣) الرسالة القشيرية ص٤٤٤

(٤) [ فاطر: ٣٤]

الخليل: ﴿الْحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (١)

اللهم إلا إذا أخذ الحمد هنا على أنه سبحانه سلب عنه عدم الإنجاب.

وهكذا كان الشكر أحد درجات سلم الترقي مع اللَّه عز وجل.

ثم عرض ابن جزي للحديث عن أنواع الشكر فذكر أن الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعم ، والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة اللَّه وترك معاصيه ، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة . والعلم بأنها من اللَّه وحده ، والعلم بأنها تفضلا باستحقاق العبد . ويستطرد ابن جزي قائلاً واعلم أن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى ، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام : نعم دنيوية : كالعافية والمال ، ونعم دينية : كالعلم ، والتقوى . ونعم أخروية : وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير (٢) . ثم ذكر ابن جزي مقامات السالكين في الشكر ؛يقول : والناس في الشكر على مقامين : منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة ، ومنهم من يشكر اللَّه عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم .

درجات الشكر:

والشكر عند ابن جزي على ثلاثة درجات : فدرجات العوام الشكر على النعم، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم ، قال رجل لإبراهيم بن أدهم : الفقراء إذا مُنعوا شكروا . وإذا أعطوا آثروا ومن فضيلة الشكر أنه من صفات الخلق فإنّ من أسماء اللَّه : الشاكر والشكور (٣)

(١) [إبراهيم: ٣٩]

(٢) التسهيل صـ ٧١ ومابعدها

(٣) التسهيل صـ ٧٢

مقام الذكر:

معنى الذكر: استحضاره في القلب مع تدبر، صحبه نطق باللسان أو لم يصحبه.

قال ابو بكر الكلاباذي: حقيقة الذكر أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر، لقوله تعالى: ( واذكر ربك إذا نسيت)[1] يعني إذا نسيت ما دون اللَّه، فقد ذكرت اللَّه.[2]

ترغيب الشرع في ذكر اللَّه:

حثّ الشرع على الذكر، بل على الإكثار منه، وأوضح ثمرته، ولم يحدد له وقتا معينا، أو مقدارا محددا، أو كيفية مخصوصة. كما فعل في سائر العبادات من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج. بل أجازه للطاهر، والمحدث، والجنب، والحائض والنفساء. وقد قالت السيدة عائشة رضي اللَّه عنها:

" كان رسول اللَّه ﷺ يذكر اللَّه تعالى على جميع أحيانه._[3]

والذكر يثمر أدبا وخلقا، ورقة وذوقا، وسماحة ونورا لدى الذاكر، وتركه يثمر غلظة وجفاء، وخشونة وجفافا، يشعر به من يعامله. والذكر أهم عناصر الطريق إلى اللَّه، بل ما سواه ثمرة له. ونتاج منه.

حديث ابن جزي عن مقام الذكر:

بسط الإمام ابن جزي في حديثه عن أفضلية الذكر مبينا أنواعه وثماره والآثار المروية المرغبة فيه وهو بصدد تفسير قوله تعالى:

﴿ فاذكروني أَذْكُرْكُمْ ﴾[4] قال: سعيد بن المسيب: معناه اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب وقيل اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك.

يقول ابن جزي: "وقد أكثر المفسرون، لا سيما المتصوّفة في تفسير هذا الموضع

(١) الكهف: ٢٤

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٢٢.

(٣) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي ١/ ٨٣

(٤) سورة البقرة: ١٥٢

بألفاظ لها معاني مخصوصة ، ولا دليل على التخصيص ، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول اللَّه ﷺ كما يرويه عن ربه : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه : ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ : ذكرته في ملأ خير منهم »[(١)] .

هذا وأنواع الذكر عن ابن جزي ثلاث : ذكر باللسان و ذكر بالقلب، وبهما معاً [(٢)]، ثم عرض ابن جزي في حديثه لأفضلية الذكر يقول :"واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة ، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال : كالصلاة وغيرها؛ فإنّ ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع اللَّه تعالى .

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه الأول : النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال ،..... والوجه الثاني : أن اللَّه تعالى حيث ما أمر بالذكر ، أو أثنى على الذكر : اشترط فيه الكثرة ، فقال : ﴿ اذكروا اللَّه ذِكْراً كَثِيراً ﴾ [(٣)]، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال . الوجه الثالث : أن للذكر مزية هي له خاصة وليست لغيره : وهي الحضور في الحضرة العلية ، والوصول إلى القرب بالذي عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية ، فإن اللَّه تعالى يقول : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني» .

أما مقامات الذاكرين عند ابن جزي فهي محصورة في مقامين:

مقصد العامة اكتساب الأجور ، ومقصد الخاصة القرب والحضور ، وما بين المقامين بَوْن بعيد . فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب ، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب[(٤)] .

(١) صحيح البخاري، بَابٌ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾.
وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ح٧٤٠٥.

(٢) التسهيل صـ١١٧

(٣) [الأحزاب : ٤١]

(٤) التسهيل صـ١١٧ وما بعدها

صور الذكر :

ذكر الإمام صورا متعددة للذكر : فمنها التهليل ، والتسبيح ، والتكبير ، والحمد ، والحوقلة ، والحسبلة ، وذكر كل اسم من أسماء اللَّه تعالى ، والصلاة على النبي ﷺ ، والاستغفار ، وغير ذلك. ولكل ذكر خاصيته وثمرته. وأما التهليل: فثمرته التوحيد: أعني التوحيد الخاص فإنّ التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التكبير : فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال ، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك : فثمرتها ثلاث مقامات ، وهي الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فإنّ المحسن محبوب لا محالة . وأما الحوقلة والحسبلة : فثمرتها التوكل على اللَّه والتفويض إلى اللَّه ، والثقة باللَّه وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك : فثمرتها المراقبة . وأما الصلاة على النبي ﷺ : فثمرتها شدّة المحبة فيه ، والمحافظة على اتباع سنته ، وأما الاستغفار : فثمرته الاستقامة على التقوى ، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة .

ثم إنّ ثمرة الذكر التي تجمع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا: اللَّه ، اللَّه . فهذا هو الغاية وإليه المنتهى[1] .

تعقيب :

يرى ابن تيمية أن الذكر بالاسم المفرد أو المجرد بدعة لأنه لا يفيد معنى، فهو من باب الكلام بما لا ينفع، لأن الذي يفيد هو الجملة " سبحان اللَّه" " الحمد للَّه " أما لفظ اللَّه فهذا كلام غير مفيد في اللغة العربية[2]، وأرى أن ابن تيمية لم يكن منصفا في هذا الأمر وذلك للأسباب التالية:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل صـ١١٨

(٢) ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل، تعليق وتصحيح : مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت ط.الأولى ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م، ج٥/ ٤٩.

أولا: لأن هناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الذكر بالاسم المفرد أو المجرد منها قوله: " واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا"[١]، وقوله تعالى: " واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا"[٢]، وفيها جواز ذكر اسم اللَّه مفردا مع الدوام والتبتل، والاسم الجامع العام الأشهر لربنا عز وجل هو ( اللَّه ) وإليه تعود جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا.

ويكفي دليلا على ذلك ورود الأمر به على الإطلاق بدون تقييد بتسبيح أو تهليل أو تكبير يقول تعالى: " قل أدعو اللَّه أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى"[٣]. أي اذكره تعالى باسمه ( اللَّه ) أو اسمه ( الرحمن ) أو غيرها من أسمائه الحسنى وكلها أسماء مفردة مجردة، وحكم واحد منها يجرى عليها جميعا.

هذا وقد ذكرت عبارة: ( اسم اللَّه ) في القرآن الكريم تسع عشرة مرة أكثر ما يراد بها الاسم المفرد.

وفي السنة النبوية يقول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم بسنده، والإمام القشيرى عن الزهري عن أنس رضي اللَّه عنه: " لا تقوم الساعة على أحد يقول: ( اللَّه اللَّه )[٤] يقول الإمام الرائد محمد ذكي إبراهيم ولو لم يكن في الباب إلا هذا الدليل لكفى.[٥]

ثانيا: ثبت في صحاح السير أنه ﷺ كان يمر على بلال وهو يعذب، ويقول: ( أحد أحد ) فلم ينكر عليه ﷺ بل كان يكررها ﷺ وهو المشرع الأعظم، يقول الإمام الرائد: " وهذا أوضح الأدلة على صحة هذا الذكر أعنى الذكر بالاسم المفرد. [٦]

---

(١) المزمل: ٨

(٢) الإنسان: ٢٥

(٣) الإسراء: ١١٠

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان ح ٣٩٢ ج١ ص٩١، ط دار الجيل بيرت.

(٥) محمد ذكي إبراهيم : أصول الوصول ص٤٩، سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية، ط٤ – ١٤١٦هـ،١٩٩٥م.

(٦) حياة الصحابة، الكاندهلوي ج١/ ٢٣٩ وما بعدها، دار الكتب العلمية بيروت.

ثالثا: من الناحية اللغوية: فقول ابن تيمية: " غير مفيد في اللغة العربية" هو قول مردود بأن الخبر قد يحذف كثيرا، حتى قال النحويون ( وحذف ما يعلم جائز )، والذاكر اللَّه بلفظ ( الرازق ) أو ( رزاق ) مثلا، فلاحظ أن هذا الاسم أحد جزئي أي جملة خبرية، تقديرها مثلا: ( اللَّه الرزاق ) أو ( ربي رازق ) فالاسم المجرد هنا خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ لخبر محذوف، كما يجوز أن يكون مفعولا لفعل محذوف، تقديره ( اذكر اللَّه الرزاق )، وقد يكون الذاكر ملاحظا ياء النداء، فيكون الاسم المجرد منادى حذفت منه ياء النداء دلالة على قرب المنادى من قبل المنادى"، يقول الإمام محمد ذكي إبراهيم معلقا على ما سبق:" ولكل ذلك أشباه في القرآن والسنة معروفة عند أهل اللغة".[1]

رابعا: إضافة إلى كل ما سبق نقرر أن الرسول الأعظم ﷺ قد أقر باب الاجتهاد وباب السنة الحسنة بقوله ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة[2]... الحديث.

وحيث إن هذا الذكر ليس إحداثا في الدين ما ليس منه – على زعم أنه لم يرده فهو سنة حسنة، وبهذا يكون الرسول ﷺ قد أقره كما كان يقر أصحابه. ونتيجة لما سبق فأنا أرى أن من قال أن الذكر بالاسم المفرد أو المجرد بدعة ولا يفيد معنى هو قول لا أساس له من الصحة مطلقا ولا يعول عليه أبدا لأنه مردود بما ثبت قطعيا من آيات الذكر الحكيم وأحاديث النبي المختار ﷺ.[3]

مقام الإخلاص:

قال الجنيد: الإخلاص ما أريد به اللَّه من أي عمل كان. قال رويم: الإخلاص

(١) محمد ذكي إبراهيم: أصول الوصول ص٤٩

(٢) صحيح مسلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة أو دعا إلى هدى ح ٦٩٧٥

(٣) الشيخ محمد ذكي الدين إبراهيم وجهوده في التصوف، رسالة دكتوراة للباحث إيهاب عبد العزيز الكومي ص٤١٨ وما بعدها، كلية التربية جامعة عين شمس.

ارتفاع رؤيتك من الفعل. سمعت فارسا يقول قدم على أبي بكر القحطبي قوم من الفقراء من أهل خراسان فقال لهم أبو بكر بم يأمركم شيخكم؟ يعني أبا عثمان فقالوا: يأمرنا بكثرة الطاعة مع التزام رؤية التقصير فيها. فقال: ويحه ألا يأمركم بالغيبة عنها برؤية مبديها؟ وقيل لأبي العباس بن عطاء: ما الخالص من الأعمال؟ قال: ما خلص من الآفات. قال أبو يعقوب السوسي الخالص من الأعمال ما لم يعلم به ملك فيكتبه، ولا عدو فيفسده، ولا النفس: فتعجب به. معناه انقطاع العبد إلى اللَّه جل وعز والرجوع إليه من فعله.(١)

أما ابن جزي فقد تحدث عن مقام الإخلاص مبينا فضله ومراتبه إلى حد أنه جعله موازيا لمقام التوحيد، فيقول :

" الإخلاص يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء ، وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال ، وهذا الإخلاص في التوحيد من الشرك الجلّي ، وهذا الإخلاص في الأعمال من الشرك الخفيّ ، وهو الرياء . قال ﷺ فيما يرويه عن ربه إنه تعالى يقول : « أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشريكه »(٢) .

وقد عرض ابن جزي لمكانة الإخلاص من الأعمال بشتي أنواعها المأمورات ، المنهيات ، المباحات يقول :

"واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع : مأمورات ومنهيات ومباحات ، فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه اللَّه ، بحيث لا يشوبها بنية أخرى ، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول ، وإن كانت النية لغير وجه اللَّه ، من طلب منفعة دنيوية ، أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود ، وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال . وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها ،

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص٧٠، ويراجع مدارج السالكين ج٢ ص٩٢.

(٢) صحيح مسلم، ك الزهد والرقائق، باب مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ ح ٧٦٦٦.

ولم يكن له أجر في تركها وإن تركها بنية وجه اللَّه حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر ، وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن فيها أجر ، وإن فعلها بنية وجه اللَّه فله فيها أجر ، فإن كل مباح يمكن أن يصير قُربَه إذا قصد به وجه اللَّه مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام[1].

تعقيب:

الطريق الصوفي يقوم علي أداء الفرائض والنوافل فأداء الفرائض من صلاة ، وصيام، وزكاة، وحج، يوصل العبد إلي: مقام القرب من اللَّه تعالي.

أمل المواظبة علي أداء النوافل، ولكل فريضة مما ذكر نوافل فإنها توصل العبد إلي مقام الحب (يحبهم ويحبونه) فنتيجة هذا الحب: إن اللَّه يكون موفقه في سمعه، وبصره، ولكل حركاته وسكناته.

وليس ذلك فقط، بل إن سأله أعطاه، وإن استعاذ به أعاذه. وفي خلال هذا السير إلي اللَّه، والفرار إليه (ففروا إلي اللَّه) يمر السالك بمراحل ودرجات، يسميها الصوفية: (مقامات) حسب ما يبذل العبد من جهد في العبادة، وذكر اللَّه، ومجاهدة النفس.

كما أن اللَّه يتفضل عليه بمنه وجوده بعطايا ومنح، لا دخل للعبد فيها، يسميها الصوفية بـ(الاحوال).

أهم النتائج والتوصيات :

- تناول الامام ابن جزي لمسائل التصوف بأسلوب سهل بعيداً عن الغموض والتعقيد .

- نال التصوف قدراً لا بأس به في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل .

- المقامات والأحوال هي العمدة لدي أئمة السلف وأهل الظاهر في التصوف وهو الذي ركز عليه ابن جزي.

(١) التسهيل صـ١١٥٣ وما بعدها

- الصلة الوثيقة بين علمي التفسير والتصوف.

- موافقة التصوف المعتدل مع المنهج السلفي فكثير من أئمة السلف كانوا صوفية أو كتبوا في التصوف، أما وجه الاعتراض فهو مع أدعياء التصوف أو المنتسبين إليه أو أدعياء السلفية.

- أوصي بدراسة كتب التفاسير على اختلاف توجهاتها لإثراء الفكر الإسلامي .

- التقارب بيننا وبين افكار المدارس المتحاملة علي التصوف ومحاولة تقديم التصوف في ثوب جديد .

- تنقيح كتب التصوف من الدخيل والغرائب.

- التنائي عما يسيء إلي التصوف من ظواهر غير لائقة وأمور قد تقدح في المنتسبين إلي التصوف.

## المصادر والمراجع

١- الأثار الأندلسية الباقية في إسبانية والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، لمحمد عبداللَّه عنان، ط. مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

٢- أثار البلاد وأخبار العباد ، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ) ، ط: دار صادر، بيروت .

٣- الاستقصا الأخبار دول المغرب الأقصى، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري ، تحقيق : جعفر الناصري/ محمد الناصري ، ط : دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م .

٤- الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب، الشريعة إلى مكارم الشريعة، مصر ١٢٩٩هـ.

٥- أصول الوصول سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية محمد ذكي إبراهيم : ،ط٤ -١٤١٦هـ،١٩٩٥م.

٦- إعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت .

٧- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لإسماعيل أبي الوليد، المعروف بابن الأحمر (المتوفى: ٨٠٧هـ) المحقق: الدكتور محمد رضوان الداية الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٣٩٦ هـ- ١٩٧٦ م .

٨- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) (٤/ ١٦٩).الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢ م .

٩- الأنساب للسمعاني ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ- ١٩٦٢ م ،

١٠- أوصاف الناس في التواريخ والصلات للسان الدين الخطيب ، تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد كمال شبانة.

١١- بد العارف: تحقيق د/ جورج كنورة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨، دار الاندلس بيروت.

١٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد اللَّه الشوكاني ، ط : دار المعرفة – بيروت .

١٣- تاريخ ابن خلدون المسمى ( العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ) ، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: أبي صهيب الكرمي، ط : دار الأفكار الدولية – عمان – الأردن، الرياض – السعودية.

١٤- التاريخ الأندلسي د/ عبدالرحمن علي الحجي .

١٥- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتي سقوط غرناطة ، للدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، ط : دار القلم – دمشق – بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ- ١٩٨١م) .

١٦- تاريخ قضاة الأندلس ( المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ) لأبي الحسن علي بن عبد اللَّه النباهي المالكي الأندلسي ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، ط : دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان ، الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م .

١٧- ترجمة الإمام ابن جُزَيّ في: الإحاطة في أخبار غرناطة ، لمحمد بن عبد اللَّه بن سعيد السلماني ، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق : محمد عبد اللَّه عنان ، ط: مكتبة الخانكي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م،

١٨- التسهيل لابن جُزي، المحقق: الدكتور عبد اللَّه الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ

١٩- التصوف الإسلامي قضايا مناقشات د. عبد العزيز المرشدي ت ٢٠٠٤.

٢٠- التصوف عقيدة وسلوكا ، د/ عبد الفتاح أحمد الفاو _ط الاولي _١٤١٢هجريه _١٩٩٢م_الناشر مكتبه الزهراء .

٢١- التعرف لمذهب أهل التصوف، ط الخانجي القاهرة ١٩٩٤ م

٢٢- التعريفات : للجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥.

٢٣- تهذيب اللغة ، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبي منصور ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ( ٢٠٠١ م ) .

٢٤- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، تحقيق: عبد الخالق ثروت ط : عالم الكتب– القاهرة ، الطبعة الأولى ( ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ).

٢٥- جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق : لجنة من العلماء ، ط : دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

٢٦- حياة الصحابة ، الكاندهلوي ، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٧- درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية نشر : دار الكنوز الأدبية - الرياض ، ١٣٩١هـ ، تحقيق : محمد رشاد .سالم.

٢٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ، الطبعة الثانية (١٣٩٢ هـ- ١٩٧٢ م ) .

٢٩- دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد اللَّه عنان الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الرابعة ، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م ، الثانية، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠ م .

٣٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون ، تحقيق

وتعليق : الدكتور محمد الأحمدي، ط : دار التراث للطبع والنشر – القاهرة .

٣١- الرسالة للقشيرية: تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وزميله ط ١٩٦٠ م نشر دار الكتب الحديثة بمصر.

٣٢- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق : محمد عبد اللَّه عنان ، ط : مكتبة الخانجي – القاهرة ، الطبعة الأولى ( ١٩٨٠ م ) .

٣٣- سنن الترمذي .

٣٤- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف ، تحقيق : عبد المجيد خيالي ، ط : دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٣٥- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لنشوان بن سعيد الحميري اليمني ، تحقيق د : حسين بن عبد اللَّه العمري - مطهر بن علي الإرياني - د : يوسف محمد عبد اللَّه ، ط : دار الفكر المعاصر - بيروت – لبنان ، دار الفكر - دمشق – سورية ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ) .

٣٦- الشيخ محمد ذكي الدين إبراهيم وجهوده في التصوف ، رسالة دكتوراه للباحث إيهاب عبد العزيز الكومي ، كلية التربية جامعة عين شمس .

٣٧- صحيح البخاري.

٣٨- صحيح مسلم .

٣٩- طبقات الشافعية الكبرى المؤلف : الإمام العلامة/ تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي تحقيق : د. محمود محمد الطناحي - د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر ،هجر للطباعة - ١٤١٣هـ ط الثانية.

٤٠- طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) ، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ .

٤١- طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي ، النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف ط : دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٢- عوارف المعارف، بهامش إحياء علوم الدين للغزالي القاهرة/ ١٢١٦ هـ.

٤٣- غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين ابن الجزري ، تحقيق: ج. برجستراسر ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٤٤- الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تحقيق : أنور الباز –عامر الجزار، الناشر : دار الوفاء الطبعة: الثالثة ، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

٤٥- الفرق الإسلامية بين الاعتدال والانحراف للدكتور/ محمد أحمد العزيزي أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا ، سنة النشر : ١٤٢٥ ه ، ٢٠٠٤ م ) .

٤٦- فصوص الحكم تعليقات د/ أبو العلا عفيفي. ، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـ، (د، ط).

٤٧- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد عَبْد الحَيّ الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ) ، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ص. ب: ١١٣/ ٥٧٨٧ الطبعة: ٢، ١٩٨٢ .

٤٨- القاموس المحيط لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي ، ط : مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٤٩- قوت القلوب لأبي طالب المكي ط الأولي، المطبعة المصرية ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٥٠- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لسان الدين الخطيبً، تحقيق: إحسان عباس، ط: دار الثقافة – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى

١٩٦٣ م.

٥١- الكشف عن حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ: محمود عبد الرؤوف القاسم: الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

٥٢- اللمع: تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور دار الكتب الحديثة القاهرة ١٣٨٠هـ.

٥٣- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، لشمس الدين السفاريني الحنبلي ، ط مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م،

٥٤- مجموعة الرسائل والمسائل :ابن تيمية ، تعليق وتصحيح : مجموعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

٥٥- المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ( ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ) .

٥٦- محمد بن جُزَيّ ومنهجه في التفسير للدكتور/ على محمد الزبيري ، ط : دار القلم – دمشق – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٧- مدارج السالكين، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣ تحقيق : محمد حامد الفقي.

٥٨- المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم لأبي عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : على محمد ، ط : دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

٥٩- معجم البلدان لشهاب الدين الحموي ، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

٦٠- معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور : أحمد مختار عبد الحميد عمر ، ط : عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٦١- مفهوم التصوف و أنواعه في الميزان الشرعي د. محمود يوسف الشوبكي.

٦٢- مقدمة تحقيق كتاب القوانين الفقهية، ومقدمة تحقيق كتاب التسهيل لعلوم التنزيل له أيضاً، ط : دار الضياء للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م.

٦٣- مقدمة د/ محمد المختار ابن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لتقريب الوصول الى علم الأصول، والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مخطوطات القراءات، برقم ( ٢٠ )، ط : المجامع التعاونية، عمان – الأردن، الطبعة الثانية.

٦٤- مقدمة د/ محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لتقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جُزَيّ، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٦٥- الملل والنحل للشهرستاني ، تحقيق أ/ عبدالعزيز محمد الوكيل ، ط : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع – القاهرة، سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م.

٦٦- المنقذ من الضلال، من المقدمة، تحقيق د/ عبد الحليم محمود.

٦٧- الموسوعة العربية العالمية لمجموعة من العلماء والباحثين، ط: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، الطبعة الثانية الرياض – السعودية.

٦٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني ، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ).

٦٩- مؤلفات ابن جُزَيّ في الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق : نزار حمّادي ، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

٧٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لشهاب الدين المقري التلمساني تحقيق : إحسان عباس ، ط : دار صادر – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.

٧١- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، إشراف وتقديم: عبدالحميد

عبداللَّه الهرامة: منشورات، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة: الأولى (١٣٩٨ هـ - ١٩٨٩ م).

٧٢- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد اللَّه الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) ، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٧٣- وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان البرمكي (المتوفى: ٦٨١هـ) ، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

* * *

# فهرس البحث

**الموضوع** **الصفحة**

ملخص البحث ..... ٤٢
المقدمة ..... ٤٦
المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جُزَيّ - رحمه اللَّه ..... ٥١
المبحث الثاني: الأحوال ..... ٦٤
المبحث الثالث في المقامات ..... ٧٤
المصادر والمراجع ..... ١٠١

***

# ثانيًا: التفسير